

❖ **إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ** وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ^{٤٧} وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتِينَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنَجَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

هذا إخبار عن سعة علمه تعالى و اختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه فقال:-

(إِلَيْهِ يُرْدُ) يَرْجِع

(عِلْمُ السَّاعَةِ) جميع الخلق ترد علمهم إلى الله تعالى و يقرون بالعجز عنه الرسل و الملائكة و غيرهم.

* كَمَا قَالَ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الْبَشَرِ لِيُجَبِّيلَ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الْمَلَائِكَةِ - حِينَ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ

وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النَّازِعَاتِ: 44] وَ قَالَ {لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ} [الْأَعْرَافِ: 187] .

اختصاص الله بعلم الغيب و الساعة 47-48

(وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) وعائها الذي تخرج منه

و هذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان و البرارى فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار إلا و هو يعلمها علما تفصيليا.

(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) من بني آدم و غيرهم من أنواع الحيوانات إلا بعلمه

(وَلَا تَضَعُ) أنثى حملها

(إِلَّا بِعِلْمِهِ) فكيف سوى المشركون به تعالى من لا علم عنده و لا سمع و لا بصر؟

* وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:- {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} [الْأَنْعَامِ: 59]

وَ قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: {يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرَّعْدِ: 8]

وَقَالَ {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر: 11]

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) ينادى الله (المشركين به يوم القيامة توبيخًا و إظهارًا لكذبهم)

فيقول لهم: (أَيْنَ شُرَكَاءِي)

الذين زعمتم أنهم شركائي فعبدموهم و جادلتم على ذلك و عاديتهم الرسل لأجلهم؟

(قَالُوا) مقرين ببطلان إلهيتهم و شركتهم مع الله:

(ءَاذَنْتَكَ) أعلمناك يا ربنا

(مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ)

و اشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم و شركتهم فكلنا الآن قد رجعنا إلى بطلان عبادتها و تبرأنا

منها 47

و لهذا قال:- (وَضَلَّ) ذهب

(عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ) من دون الله أى:-

عقائدهم و أعمالهم التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله

و ظنوا أنها تفيدهم و تدفع عنهم العذاب و تشفع لهم عند الله

فخاب سعيهم و انتقض ظنهم و لم تغن عنهم شركاؤهم شيئًا

(وَوَظَنُوا) أيقنوا في تلك الحال

(مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ) منقذ ينقذهم و لا مغيث و لا ملجأ

فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره بينها الله لعباده ليحذروا الشرك به.

* كَهْوَلِهِ تَعَالَى:- {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِدُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} [الكهف: 53] 31

* أخبر الله عن طبيعة الإنسان من حيث هو و عدم صبره و جلدته لا على الخير و لا على الشر إلا من نقله الله

من هذه الحال إلى حال الكمال فقال:-

طبيعة الانسان في السراء و الضراء 49-52

(لَا يَسْتَمُ) يميل

(الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءٍ) الله من (الْخَيْرِ) الدنيوى فى الغنى و المال و الولد و غير ذلك من مطالب الدنيا

و لا يزال يعمل على ذلك و لا يقتنع بقليل و لا كثير منها لو حصل له من الدنيا ما حصل لم يزل طالبًا للزيادة.

(وَلَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) المكروه كالمرض و الفقر و أنواع البلاء

(فَيَقْوُسُ) من رحمة الله تعالى

و يظن أن هذا البلاء هو القاضى عليه بالهلاك
و يتشوش من إتيان الأسباب على غير ما يحب و يطلب.

(قَنُوطٌ) بسوء الظن بربه-

إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فإنهم إذا أصابهم الخير و النعمة و المحاب:-

1-شكروا الله تعالى

2-و خافوا أن تكون نعم الله عليهم [استدراجًا و إمهالًا]

و إن أصابتهم مصيبة فى أنفسهم و أموالهم و أولادهم:- صبروا و رجوا فضل ربهم فلم يياسوا 49

ثم قال تعالى: (وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ) الإنسان الذى يسأم من دعاء الخير و إن مسه الشر فيئوس قنوط

(رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَةٍ)

بعد ذلك الشر الذى أصابه بأن عافاه الله من مرضه أو أغناه من فقره فإنه لا يشكر الله تعالى بل يبغى و يطغى

و يقول: (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِى) أتانى لأنى له أهل و أنا مستحق له

(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) و هذا إنكار منه للبعث و كفر للنعمة و الرحمة التى أذاقها الله له.

(وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي) على تقدير إتيان الساعة و أنى سأرجع إلى ربي

(إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْفَى) فكما حصلت لى النعمة فى الدنيا فإنها ستحصل لى فى الآخرة

و هذا من أعظم الجراءة و القول على الله بلا علم فلهذا توعده بقوله:-

(فَلَنَنْبِتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد جدًا 50

(وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) بصحة أو رزق أو غيرهما

(أَعْرَضَ) عن ربه و عن شكره

(وَنَآ) ترفع

(بِجَانِبِهِ) عجباً و تكبراً

(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) المرض أو الفقر أو غيرهما

(فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) كثير جدًا لعدم صبره

فلا صبر فى الضراء و لا شكر فى الرخاء إلا من هداه الله و منّ عليه.

*يُطِيلُ الْمَسَالَهَ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ

فَالْكَلَامُ الْعَرِيضُ:- مَا طَالَ لَفْظُهُ وَ قَلَّ مَعْنَاهُ وَ الْوَجِيزُ: عَكْسُهُ وَ هُوَ: مَا قَلَّ وَ دَلَّ

كقوله (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِيًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ^[يُؤْتَس: 12] 51

(قُلْ) لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران

(أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) هذا القرآن

(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) من غير شك و لا ارتياب

(ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) معاندة لله و لرسوله

لأنه تبين لكم الحق و الصواب ثم عدلتم عنه لا إلى حق بل إلى باطل و جهل فإذا تكونون أضل الناس

التأمل في آيات الله 53-54

و أظلمهم 52

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ)

مَنْ الْفُتُوحَاتِ وَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقَالِيمِ وَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ-دَلَائِلُ فِي أَنْفُسِهِمْ-وَقَعَةُ بَدْرٍ وَ فَتْحُ مَكَّةَ وَ نَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ نَصْرَ اللَّهِ فِيهَا مُحَمَّدًا وَ صَحْبَهُ وَ خَذَلَ فِيهَا الْبَاطِلَ وَ حِزْبَهُ.
*فإن قلتم أو شككتم بصحته و حقيقته فسيقم الله لكم و يريكم من آياته في الآفاق كالأيات التي في السماء
و في الأرض و ما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة الدالة للمستبصر على الحق.

(وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

1-مما اشتملت عليه أبدانهم من بديع آيات الله و عجائب صنعته و باهر قدرته
وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا الْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُ وَ فِيهِ وَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ وَ الْأَخْلَاطِ وَ الْهَيْئَاتِ
الْعَجِيبَةِ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ التَّشْرِيحِ الدَّالِّ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى.
*وَ كَذَلِكَ مَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنْ حَسَنٍ وَ قَبِيحٍ وَ بَيْنَ ذَلِكَ
*وَ مَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ وَ حِيلِهِ أَنْ يَجُوزَهَا وَ لَا يَتَعَدَّهَا
2-و في حلول العقوبات و المثالات في المكذبين و نصر المؤمنين

(حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ) من تلك الآيات بيانًا لا يقبل الشك

(أَنَّهُ الْحَقُّ) و ما اشتمل عليه حق.

و قد فعل تعالى فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبين لهم أنه الحق و لكن الله هو الموفق للإيمان من شاء
و الخاذل لمن يشاء.

(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

أى: أولم يكفهم على أن القرآن حق و من جاء به صادق بشهادة الله تعالى

و لا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه و تعالى؟

فإنه قد شهد له بالتصديق و هو أصدق الشاهدين و أيده و نصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية عند من شك فيها.

*كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَ أَقْوَالِهِمْ وَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ كَمَا قَالَ:-

{لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ}[النساء: 166] 53

(أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيجٍ) شك

(مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ)

من البعث و القيامة و ليس عندهم دار سوى الدار الدنيا فلذلك لم يعملوا للآخرة و لم يلتفتوا لها.

(أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ) علما و قدرة و عزة 54

42-الشورى-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

حمَّ ① عسق ② كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ④ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⑤
 وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ⑥
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ
 فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ⑦ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
 وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ⑧ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا لِلَّهِ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ
 وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑨ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
 ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ⑩

(حمَّ ① عسق ② كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ)

يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء و المرسلين
 ففيه بيان فضله بإنزال الكتب و إرسال الرسل سابقا و لاحقا و أن محمدا ﷺ ليس ببدع من الرسل
 و أن طريقته طريقة من قبله و أحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين.
 و ما جاء به يشابه ما جاءوا به لأن الجميع حق و صدق

وحدة الوحي للرسل 3-6

(اللَّهُ الْعَزِيزُ) فِي انتِقَامِهِ (الْحَكِيمُ) فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ

و هو تنزيل من اتصف بالألوهية و العزة العظيمة و الحكمة البالغة

(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) و أن جميع العالم العلوى و السفلى ملكه و تحت تدبيره القدرى و الشرعى.
 (وَهُوَ الْعَلِيُّ) بذاته و قدره و قهره.

(الْعَظِيمُ) كَهَوْلِهِ تَعَالَى: {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرَّغْد: 9] {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سَيِّ: 23]

الذى من عظمتها (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) يتشققن فرقا من العظمة

(من فَوْقِهِنَّ) على عظمتها و كونها جمادا

(وَالْمَلَائِكَةُ) الكرام المقربون خاضعون لعظمتها مستكينون لعزته مدعون برؤوسهم

(سَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) و يعظمونه عن كل نقص و يصفونه بكل كمال

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) عما يصدر منهم مما لا يليق بعظمة ربهم و كبريائه

(أَلَا إِنَّ اللَّهَ) مع أنه تعالى

(هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

الذى لولا مغفرته و رحمته لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة. و فى وصفه تعالى بهذه الأوصاف
*بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموما و إلى محمد - صلى الله عليهم أجمعين- خصوصا:
إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم فيه من الأدلة و البراهين و الآيات الدالة على كمال البارى تعالى
و وصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته و محبته و تعظيمه و إجلاله و إكرامه
و صرف جميع أنواع العبودية الظاهرة و الباطنة له تعالى
و أن من أكبر الظلم و أفحش القول اتخاذ أنداد لله من دونه ليس بيدهم نفع و لا ضرر

بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله فى جميع أحوالهم و لهذا عقبه بقوله: - (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) يتولونهم بالعبادة و الطاعة كما يعبدون الله و يطيعونه فإنما اتخذوا الباطل و ليسوا بأولياء على الحقيقة.

(اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ) يحفظ عليهم أعمالهم فيجازيهم بخيرها و شرها.

(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتسأل عن أعمالهم و إنما أنت مبلغ أديت وظيفتك.

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)

وظيفة القرآن و موقف الناس منه 7-9

ثم ذكر منته على رسوله و على الناس حيث أنزل الله

(قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بين الألفاظ و المعانى

(لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى) و هي مكة المكرمة

(وَمَنْ حَوْلَهَا) من قرى العرب و مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ شَرْقًا وَ غَرْبًا ثم يسرى هذا الإنذار إلى سائر الخلق.

* وَ سُمِّيَتْ مَكَّةُ "أُمَّ الْقُرَى" لِأَنَّهَا أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ

* أَحْمَدُ 18715 - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاءِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ :-

وَ هُوَ وَقَفَ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ:

وَ اللَّهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَ أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ "

(وَنُنْذِرَ) الناس

(يَوْمَ الْجَمْعِ) الذى يجمع الله به الأولين و الآخرين

و تخبرهم أنه (لَا رَيْبَ فِيهِ) و أن الخلق ينقسمون فيه فريقين

(فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ) و هم الذين آمنوا بالله و صدقوا المرسلين

(وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) و هم أصناف الكفرة المكذبين.

*أحمد:17593 عَنْ أَبِي نَضْرَةَ:- أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: أ-بُو عَبْدِ اللَّهِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ وَ هُوَ يَبْكِي فَقَالُوا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- خُذْ مِنْ شَارِبِكَ ثُمَّ أَقْرَهُ حَتَّى تَلْقَانِي؟ قَالَ: بَلَى وَ لِكِرْبِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:- إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً وَ أُخْرَى بِالْيَدِ الْأُخْرَى وَ قَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ وَ هَذِهِ لِهَذِهِ وَ لَا أَبَالِي فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا

(و) مع هذا (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ) أى لجعل الناس

(أُمَّةً وَاحِدَةً) على الهدى لأنه القادر الذى لا يمتنع عليه شىء

(وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) و لكنه أراد أن يدخل فى رحمته من شاء من خواص خلقه

(وَالظَّالِمُونَ) و أما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح فإنهم محرومون من الرحمة

ف—(مَا لَهُمْ) من دون الله

(مِنْ وَلِيِّ) يتولاهم فيحصل لهم المحبوب

(وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم المكروه.

(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) يتولونهم بعبادتهم إياهم فقد غلطوا أقبح غلط

(فَاللَّهُ هُوَ أَوْلَىٰ) الذى يتولاه عبده بعبادته و طاعته و التقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات

و يتولى عباده عموما بتدبيره و نفوذ القدر فيهم

و يتولى عباده المؤمنين خصوصا بإخراجهم من الظلمات إلى النور

و تربيتهم بلطفه و إعانتهم فى جميع أمورهم.

(وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

هو المتصرف بالإحياء و الإماتة و نفوذ المشيئة و القدرة فهو الذى يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

(وَمَا) مَهْمَا (أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من أصول دينكم و فروعه مما لم تتفقوا عليه وَ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ

(فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) يُرَدُّ إِلَى كِتَابِهِ و إلى سنة رسوله فما حكما به فهو الحق و ما خالف ذلك فباطل.

*أى: هُوَ الْحَاكِمُ فِيهِ بِكِتَابِهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

قَوْلُهُ: {إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: 59]

فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه فى جميع أمورهم.

و مفهوم الآية الكريمة:-

أن اتفاق الأمة حجة قاطعة لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه
فما اتفقنا عليه يكفى اتفاق الأمة عليه لأنها معصومة عن الخطأ
و لا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما فى كتاب الله وسنة رسوله.

(عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) اعتمدت بقلبي عليه فى جلب المنافع و دفع المضار واثقا به تعالى فى الإسعاف بذلك

(وَالَيْهِ أُنِيبُ) أتوجه بقلبي و بدنى إليه و إلى طاعته و عبادته.

و هذان الأصلان كثيرا ما يذكرهما الله فى كتابه لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد و يفوته الكمال بفوتهما
أو فوت أحدهما

كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

و قوله: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

.....

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^طوَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ^طشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ^طوَالَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي
شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ^طفَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما بقدرته و مشيئته و حكمته

(جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) لتسكنوا إليها و تنتشر منكم الذرية و يحصل لكم من النفع ما يحصل.
(وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا)

و من جميع أصنافها نوعين ذكرا و أنثى لتبقى و تنمو لمنافعكم الكثيرة
و لهذا عداها باللام الدالة على التعليل أى: جعل ذلك لأجلكم و لأجل النعمة عليكم

و لهذا قال:- (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) ييشكم و يكثركم و يكثر مواشيكم
بسبب أن جعل لكم من أنفسكم و جعل لكم من الأنعام أزواجا.

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ليس يشبهه تعالى و لا يماثله شيء من مخلوقاته

لا في ذاته و لا في أسمائه و لا في صفاته و لا في أفعاله

لأن أسمائه كلها حسنى و صفاته صفة كمال و عظمة

و أفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك

فليس كمثلته شيء لانفراده و توحده بالكمال من كل وجه.

(وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

(الْبَصِيرُ) يرى ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء

و يرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا و سريان الماء في الأغصان الدقيقة **11**

و هذه الآية و نحوها دليل —:-

مذهب أهل السنة و الجماعة —:-

1-إثبات الصفات

2-و نفى مماثلة المخلوقات

3-و فيها رد على المشبهة فى قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

و على المعطلة فى قوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

(لَهُ، مَقَالِيدُ) مفاتيح (السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ ط)

ملك السماوات و الأرض و بيده مفاتيح الرحمة و الأرزاق و النعم الظاهرة و الباطنة.

فكل الخلق مفتقرون إلى الله فى جلب مصالحهم و دفع المضار عنهم فى كل الأحوال

ليس بيد أحد من الأمر شىء. و الله تعالى هو المعطى المانع الضار النافع

الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه و لا يدفع الشر إلا هو

(وَمَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ)

و لهذا قال هنا:- (يَبْسُطُ) يوسع و يعطى من أصناف (الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ)

(وَيَقْدِرُ) يضيق على من يشاء حتى يكون بقدر حاجته لا يزيد عنها و كل هذا تابع لعلمه و حكمته

فلهذا قال:- (إِنَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فيعلم أحوال عباده فيعطى كلا ما يليق بحكمته و تقتضيه مشيئته **12**

*أكبر منة أنعم الله بها على عباده أن (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ)

خير الأديان و أفضلها و أزكاها و أطهرها دين الإسلام الذى شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده

(مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) أن يعمله و يبلغه

(وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أيها الرسول و هو الإسلام بل شرعه الله لخيار الخيار و صفوة الصفوة

(وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ط)

و هم أولو العزم من المرسلين المذكورون أعلى الخلق درجة و أكملهم من كل وجه

*فالدين الذى شرعه الله لهم لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم موافقا لكمالهم بل إنما كملهم الله و اصطفاهم

بسبب قيامهم به

*فلولا الدين الإسلامى ما ارتفع أحد من الخلق فهو روح السعادة و قطب رضى الكمال

و هو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم و دعا إليه من التوحيد و الأعمال و الأخلاق و الآداب.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ انْتِظَمَتْ ذِكْرُ الْخَمْسَةِ كَمَا اشْتَمَلَتْ آيَةُ "الْأَحْزَابِ" عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} آيَةُ [الْأَحْزَابِ: 7]

وَ الدِّينُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ كُلُّهُمْ هُوَ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

كَمَا قَالَ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]

و فِي الْحَدِيثِ:- "نَحْنُ مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَاتٍ دِينَنَا وَاحِدٌ" أي:-

الْقَدَرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ إِنْ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ وَ مَنَاهِجُهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48]

و لهذا قال:- (أَنْ أَقِيمُوا) أَمْرُكُمْ أَنْ تَقِيمُوا جَمِيعَ شَرَائِعِ

(الَّذِينَ) أَصُولُهُ وَ فُرُوعُهُ تَقِيمُونَهُ بِأَنْفُسِكُمْ وَ تَجْتَهِدُونَ فِي إِقَامَتِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ

وَ تَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُونَ عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ

(وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ) لِيَحْصَلَ مِنْكُمْ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَصُولِ الدِّينِ وَ فُرُوعِهِ

وَ احْرَصُوا عَلَى أَنْ لَا تَفْرُقَكُمْ الْمَسَائِلُ وَ تَحْزِبَكُمْ أَحْزَابًا وَ تَكُونُونَ شِيعَا يُعَادِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا مَعَ اتِّفَاقِكُمْ عَلَى أَصْلِ دِينِكُمْ.

و من أنواع الاجتماع على الدين و عدم التفريق فيه:-

ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة كاجتماع الحج و الأعياد و الجمع و الصلوات الخمس و الجهاد

و غير ذلك من العبادات التي لا تتم و لا تكمل إلا بـ:-

1- الاجتماع لها

2- و عدم التفريق.

(كَبُرَ) شَقٌّ (عَلَى الْمُشْرِكِينَ) غَايَةُ الْمَشَقَّةِ

(مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) حَيْثُ دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ

كَمَا قَالَ عَنْهُمْ: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)

وَ قَوْلُهُمْ:- (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ)

(اللَّهُ يَجْتَبِي) يَخْتَارُ (إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ) مَنْ خَلِيقَتُهُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَصْلَحُ لِلِاجْتِبَاءِ لِرِسَالَتِهِ وَ وِلَايَتِهِ

وَ مِنْهُ أَنْ اجْتَبَى هَذِهِ الْأُمَّةَ وَ فَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ وَ اخْتَارَ لَهَا أَفْضَلَ الْأَدْيَانِ وَ خَيْرَهَا.

(وَيَهْدِي إِلَيْهِ) يُوَفِّقُ لِلْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ (مَنْ يُنِيبُ) يَرْجِعُ إِلَيْهِ.

* هذا السبب الذي من العبد يتوصل به إلى هداية الله تعالى و هو إنايته لربه

و انجذاب دواعى قلبه إليه و كونه قاصدا وجهه فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية من أسباب التيسير لها كما قال تعالى:- **(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)**

و في هذه الآية أن الله **(وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)** مع قوله: **(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)** مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم و شدة إنابتهم دليل على:- أن قولهم حجة خصوصا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

أجمعين **13**

لَمَّا أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم و نهاهم عن التفرق:- أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم

(وَمَا تَفَرَّقُوا) أى المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعة وأحزابا

(لَا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) و قامت الحجة عليهم و ما حملهم على ذلك إلا البغى و العناد

و ذلك كله **(بَغْيًا بَيْنَهُمْ)** و عدوانا منهم فإنهم تباغضوا و تحاسدوا و حصلت بينهم المشاحنة و العداوة فوقع الاختلاف فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى و هو يوم القيامة

(إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقُضَى بَيْنَهُمْ) بتعجيل عذاب الكافرين منهم

* و لكن حكمته و حلمه اقتضى تأخير ذلك عنهم

(وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكِتَابِ) التوراة والإنجيل

(مِنْ بَعْدِهِمْ) الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكدب للحق

* أى:- الذين ورثوهم و صاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم

هؤلاء المختلفين في الحق **(لَفِي شَكٍّ مِنْهُ)** من الدين و الإيمان

(مُرِيبٍ) موقع في الريبة و الاختلاف المذموم

* لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف حيث اختلف سلفهم بغيا و عنادا فإن خلفهم اختلفوا شكا و ارتيابا

و الجميع مشتركون في الاختلاف المذموم **14**

(فَلْيَذَلِكِ) أى فللذين القويم و الصراط المستقيم الذى أنزل الله به كتبه و أرسل رسله

(فَادْعُ) إليه أمتك و حضهم عليه و جاهد عليه من لم يقبله

(وَأَسْتَقِمَّ) بنفسك

(كَمَا أُمِرْتُ)

أى: استقامة موافقة لأمر الله لا تفريط و لا إفراط بل امتثالاً لأوامر الله و اجتناباً لنواهيه على وجه الاستمرار على ذلك

* فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة و بتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

و من المعلوم أن أمر الرسول ﷺ لأمره إذا لم يرد تخصيص له.

(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) أهواء المنحرفين عن الدين من الكفرة و المنافقين

إما باتباعهم على بعض دينهم

أو بترك الدعوة إلى الله

أو بترك الاستقامة

فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين

و لم يقل: « ولا تتبع دينهم » لأن :- حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم هو دين الرسل كلهم

و لكنهم لم يتبعوه بل اتبعوا أهواءهم و اتخذوا دينهم لهوا و لعباً.

(وَقُلْ) لهم عند جدالهم و مناظرتهم :- (ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)

أى: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم الدال على شرف الإسلام و جلالته و هيمنته على سائر الأديان

و أن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام

و في هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب أو ببعض الرسل دون

غيره فلا يسلم لهم ذلك لأن الكتاب الذي يدعون إليه و الرسول الذي ينتسبون إليه

من شرطه أن يكون مصدقاً بهذا القرآن و بمن جاء به

فكتابنا و رسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى و عيسى و التوراة و الإنجيل التي أخبر بها و صدق بها و أخبر

أنها مصدقة له و مقرة بصحته.

و أما مجرد التوراة و الإنجيل و موسى و عيسى الذين لم يوصفوا لنا و لم يوافقوا لكتابنا فلم يأمرنا بالإيمان

بهم.

(وَأَمَرْتُ لِأَعْدَلٍ بَيْنَكُمْ) فى الحكم فيما اختلفتم فيه

فلا تمنعنى عداوتكم و بغضكم يا أهل الكتاب من العدل بينكم

و من العدل في الحكمين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب و غيرهم أن يقبل ما معهم من الحق و يرد ما

معهم من الباطل

(**اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**) هو رب الجميع لستم بأحق به منا.

(**لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ**) من خير و شر

*لقوله- {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يُونُس: 41]

(**لَا حُجَّةَ**) لا خصومة-قال السُّدِّيُّ: وَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ. وَ هَذَا مُتَّجَهٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ

(**بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**)

بعد ما تبينت الحقائق و اتضح الحق من الباطل و الهدى من الضلال لم يبق للجدال و المنازعة محل لأن:-

المقصود من الجدل إنما هو بيان الحق من الباطل ليتهدى الراشد و لتقوم الحجة على الغاوى

و ليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون كيف و الله يقول:- (**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)

و إنما المراد ما ذكرنا.

(**اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا**) يوم القيامة

(**وَالَيْهِ الْمَصِيرُ**) فيجزى كلا بعمله و يتبين حينئذ الصادق من الكاذب **15**

.....

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾
 يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
 وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا
 نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
 مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾
 تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهَمِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

و هذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا و بينكم فأخبر هنا أن

(وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ) بالحجج الباطلة و الشبه المتناقضة

(مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) من بعد ما استجاب لله أولو الألباب و العقول

لما بين لهم من الآيات القاطعة و البراهين الساطعة فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين

(مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ) باطلة مدفوعة

(عِنْدَ رَبِّهِمْ) لأنها مشتملة على رد الحق و كل ما خالف الحق فهو باطل.

(وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) لعصيانهم و إعراضهم عن حجج الله و بيناته و تكذيبها.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) هو أثر غضب الله عليهم فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل.

*جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى وَ طَمَعُوا أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ.
 وَ قَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى قَالُوا لَهُمْ: -دِينُنَا خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ وَ نَبِينَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَ نَحْنُ خَيْرٌ مِنْكُمْ

وَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ وَ قَدْ كَذَّبُوا فِي ذَلِكَ 16

*لما ذكر تعالى أن حججه واضحة بينة بحيث استجاب لها كل من فيه خير ذكر أصلها و قاعدتها بل جميع

الحجج التي أوصلها إلى العباد فقال:-

اثبات قيام الساعة 17-19

(اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ) فالكتاب هو هذا القرآن العظيم نـزل

(بِالْحَقِّ) و اشتمل على الحق و الصدق و اليقين

و كله آيات بينات و أدلة واضحة على:-

1- جميع المطالب الإلهية

2- العقائد الدينية فجاء بأحسن المسائل و أوضح الدلائل.

و أما (وَالْمِيزَانُ) الانصاف

*فهو العدل و الاعتبار بالقياس الصحيح و العقل الرجيح

فكل الدلائل العقلية من:-

الآيات الآفاقية و النفسية و الاعتبارات الشرعية و المناسبات و العلل و الأحكام و الحكم:-

داخلية في الميزان الذى أنزله الله تعالى و وضعه بين عباده

ل:-

1- يـزنوا به ما اشتبه من الأمور

2- و يعرفوا به صدق ما أخبر به و أخبرت رسله مما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب و الميزان مما قيل

إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات

فإنه باطل متناقض قد فسدت أصوله و انهدمت مبانيه و فروعه يعرف ذلك من خبر المسائل و مآخذها

و عرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها و الفرق بين الحجج و الشبه

*و أما من اغتر بالعبارات المزخرفة و الألفاظ المموهة و لم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد

فإنه ليس من أهل هذا الشأن و لا من فرسان هذا الميدان فوافقه و خلافه سيات

*و هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد:25]

و قَوْلُهُ:- {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرَّحْمَنِ:9-7].

*ثم قال تعالى مخوفا للمستعجلين لقيام الساعة المنكرين لها فقال:-

(وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)

ليس بمعلوم بعدها و لا متى تقوم فهي فى كل وقت متوقع وقوعها مخوف وجبتها 17

(يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) عنادا و تكديبا و تعجيزا لربهم و كفرا و استبعادا

*يقولون {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سَبَأ:29]

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا) لإيمانهم بها و علمهم بما تشتمل عليه من:-

1- الجزء بالأعمال

2- و خـوفهم لمعرفة ربهم:- أن لا تكون أعمالهم منجية لهم و لا مسعدة

و لهذا قال:- (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) الذى لا مرية فيه و لا شك يعتريه

(آلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ) يخاصمون

(فِي) قيام

(السَّاعَةِ) بعد ما امتروا فيها ماروا الرسل و أتباعهم بإثباتها

(لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)

فهم فى شقاق بعيد أى: معاندة و مخاصمة غير قريبة من الصواب بل فى غاية البعد عن الحق
* فِي جَهْلٍ بَيْنَ لَأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ بِطَرِيقِ الْأُولَىٰ وَالْآخَرَىٰ كَمَا قَالَ:
(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الرُّوم:27]

* و أى بعد أبعد ممن كذب بالدار التى هي الدار على الحقيقة و هي الدار التى خلقت للبقاء الدائم و الخلود
السرمد و هي دار الجزاء التى يظهر الله فيها عدله و فضله
* و إنما هذه الدار بالنسبة إليها كراكب قال فى ظل شجرة ثم رحل و تركها و هى دار عبور و ممر لا محل
استقرار.

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية حيث رأوها و شاهدوها و كذبوا بالدار الآخرة التى تواترت بالإخبار عنها
الكتب الإلهية و الرسل الكرام و أتباعهم الذين هم أكمل الخلق عقولا و أغزرهم علما و أعظمهم فطنة
و فهما 18

يخبر (اللَّهُ) أنه (لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) ليعرفوه و يحبوه و يتعرضوا للطفه و كرمه و اللطف من أوصافه تعالى معناه:-
الذى يدرك الضمائر و السرائر الذى يوصل عباده-و خصوصا المؤمنين-إلى ما فيه الخير لهم
من حيث لا يعلمون و لا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن:-

أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك من:-

1-فطرته على محبة الحق و الانقياد له

2-و إيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن :-

يشتوا عباده المؤمنين و يحثوهم على الخير

و يلقوا فى قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

3-و من لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية التى بها تقوى عزائمهم و تنبعث هممهم

و يحصل منهم التنافس على الخير و الرغبة فيه و اقتداء بعضهم ببعض

4-و من لطفه أن قيض لعبده كل سبب يعوقه و يحول بينه و بين المعاصى حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا

و المال و الرياسة و نحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا تقطع عبده عن طاعته أو تحمله على الغفلة عنه أو على معصية **[صـرفها عنه و قـدر عليه رزقه]**

و لهذا قال هنا: **(يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ)** بحسب اقتضاء حكمته و لطفه

جزاء المؤمنين و الكافرين 20-27

(وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)

الذى له القوة كلها فلا حول و لا قوة لأحد من المخلوقين إلا به الذى دانت له جميع الأشياء **19**

ثم قال تعالى:- **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ)** أجرها و ثوابها فآمن بها و صدق و سعى لها سعيها

(نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بأن نضاعف عمله و جزاءه أضعافا كثيرة كما قال تعالى:

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) مع ذلك فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.

(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ) و من كان يريد بعمله **(الدُّنْيَا)** وحدها-

*متاع لحياة **(الدُّنْيَا)** من طيباتها.

*بأن: كانت الدنيا هى مقصوده و غاية مطلوبه فلم يقدم لآخرفته و لا رجا ثوابها و لم يخش عقابها

(نُؤْتِيهِ مِنْهَا) نصيبه الذى قسم له

(وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) قد حرم الجنة و نعيمها و استحق النار و جحيمها.

و هذه الآية شبيهة بقوله تعالى:- **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)**
 *وَمَنْ كَانَ إِنْهَا سَعْيُهُ لِيَحْصُلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ لَيْسَ لَهُ إِلَى الْآخِرَةِ هَمَّةٌ أَلْبَتَّةً بِالْكَلْبَةِ حَرَمَهُ اللَّهُ الْآخِرَةَ
 وَ الدُّنْيَا :-إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَ إِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ لَا هَذِهِ وَ لَا هَذِهِ وَ فَازَ هَذَا السَّاعَى بِهَذِهِ النَّيَّةِ
 بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. وَ الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هَاهُنَا مُقَيَّدَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي فِي "سُبْحَانَ":
 وَ هِيَ قَوْلُهُ **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا وَمَنْ أَرَادَ**
الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ

مُحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [الإسراء: 21-18] **20**

*يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم و يشتركون هم وإياهم في الكفر و أعماله من شياطين الإنس
 الدعاة إلى الكفر:-

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ)

من:- **1-الشرك**

2-و البدع

3-و تحريم ما أحل الله **(الْبَحِيرَةِ وَ السَّائِبَةِ وَ الْوَصِيلَةِ وَ الْحَامِ وَ تَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ وَ الدَّمِ وَ الْقِمَارِ)**

4-و **تحليل** ما حرم الله و نحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى ليدين به العباد و يتقربوا به إليه فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئا ما جاء عن الله و عن رسوله فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم و آباؤهم على الكفر.

*هُمْ لَا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
*البخارى 4624 - عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ (يكسر) بَعْضُهَا بَعْضًا وَ رَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ (واحد الأقسام وهى الأمعاء)
وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيِّبَ السَّوَابِ

*وَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَحَدَ مُلُوكِ خُرَاعَةَ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَ هُوَ الَّذِي حَمَلَ قُرَيْشًا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قَبَّحَهُ

وَ لِهَذَا قَالَ (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ)

الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف المختلفة و أنه سيؤخرهم إليه

(لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) (لَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِنْظَارِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ

*فى الوقت الحاضر بسعادة المحق و إهلاك المبطل لأن المقتضى للإهلاك موجود

{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ} أمامهم (عَذَابٌ أَلِيمٌ) (مُوجِعٌ فى الآخرة لهؤلاء و لكل ظالم 21

و فى ذلك اليوم (تَرَى الظَّالِمِينَ) أنفسهم بالكفر و المعاصى- فى عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ

(مُشْفِقِينَ) (خائفين وجلين

(مِمَّا كَسَبُوا) (أن يعاقبوا عليه.

* و لما كان الخائف قد يقع به ما أشفق منه و خافه و قد لا يقع أخبر:-

(وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ)

العقاب الذي خافوه لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب من غير معارض من توبة و لا غيرها
و وصلوا موضعا فات فيه الإنظار و الإمهال.

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) (بقلوبهم بالله و بكتبه و رسله و ما جاءوا به

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (يشمل كل عمل صالح من:-

1-أعمال القلوب

2-و أعمال الجوارح من [الواجبات و المستحبات]

فهؤلاء (فى رَوْضَاتٍ) (بساتين-و الروضة فى الجنة أنزه مكان فيها.

(الْجَنَّاتُ) و قصورها و نعيم الآخرة-الروضات المضافة إلى الجنات و المضاف يكون بحسب المضاف إليه

فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة

و ما فيها من الأنهار المتدفقة و الفياض المعشبة و المناظر الحسنة

و الأشجار المثمرة و الطيور المغردة و الأصوات الشجية المطربة و الاجتماع بكل حبيب

و الأخذ من المعاشرة و المنادمة بأكمل نصيب رياض لا تزداد على طول المدى إلا حسنا و بهاء

و لا يزداد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها و ودادا

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ)

فى الجنات فمهما أرادوا فهو حاصل و مهما طلبوا حصل مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على

قلب بشر.

(عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)

و هل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى و التمتع بقربه في دار كرامته؟ 22

.....

الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ
وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ اللَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٠﴾

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ)

هذه البشارة العظيمة التي هي أكبر البشائر على الإطلاق بشر بها الرحيم الرحمن على يد أفضل خلقه

(عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

أهل الإيمان و العمل الصالح فهي أجل الغايات و الوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل.

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغي إياكم هذا القرآن و دعوتكم إلى أحكامه.

(أَجْرًا) فلست أريد أخذ أموالكم و لا التولى عليكم و التراس و لا غير ذلك من الأغراض

(إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ)

1-يحتمل أن المراد:-

لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم و عائد نفعه إليكم و هو أن تودوني و تحبوني في القرابة
أي: لأجل القرابة.

و يكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان

فإن مودة الإيمان بالرسول و تقديم محبته على جميع المحاب بعد محبة الله فرض على كل مسلم و هؤلاء
طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القرابة لأنه قد باشر بدعوته أقرب الناس إليه حتى إنه قيل:-

إنه ليس في بطون قريش أحد إلا و لرسول الله ﷺ فيه قرابة.

2-و يحتمل أن المراد:-إلا مودة الله تعالى الصادقة و هـى:-

التي يصحبها التقرب إلى الله و التوسل بطاعته الدالة على صحتها و صدقها و لهذا قال:(إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى) أى:في التقرب إلى الله

*و على كلا القولين فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرا بالكلية إلا أن يكون شيئا يعود نفعه إليهم فهذا ليس من الأجر في شيء بل هو من الأجر منه لهم ﷺ

كقوله(وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) و قولهم:«ما لفلان ذنب عندك إلا أنه محسن إليك»

*الصحيح المسمند من أسباب النزول:-أحمد 2024 عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ. . . وَسَلَّيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: سَمِعْتُ طَاوُسًا يَقُولُ:

سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ - الْمَعْنَى - عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: 23]-

فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قَرَابَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

عَجَلْتُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ قَرَابَةُ فَنَزَلَتْ:

{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: 23] :-إِلَّا أَنْ تَصَلُّوا قَرَابَةً مَا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ "

*البخارى 3713 عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: «ارْقُبُوا (احفظوه) مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»

(فلا تسبوهم ولا تؤذوهم وهم فاطمة وأولادها رضي الله عنها وعنهم. أو هم أزواجه ﷺ ورضي الله عنهم وعنهن)

*البخارى 3712 - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

لَا نُورِثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ يَغْنَى مَالُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ

وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَ لَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَشْهَدَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ وَ ذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ:-وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي

(وَمَنْ يَتَّقِرَفْ حَسَنَةً) من صلاة أو صوم أو حج أو إحسان إلى الخلق

(نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) بأن:-

1-يشـرح الله صدره

2-و ييسر أمره

3-و تكون سببا للتوفيق لعمل آخر

4-و يـزداد بها عمل المؤمن

5-و يـرتفع عند الله و عند خلقه

6-و يحصل له الثواب العاجل و الآجل

قَوْلِهِ:-{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 40] .

*وَقَالَ بَعْضُ السَّالَفِ: إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ (الْحَسَنَةَ) بَعْدَهَا وَ مِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ (السَّيِّئَةَ) بَعْدَهَا.

(إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ) يغفر الذنوب العظيمة و لو بلغت ما بلغت عند التوبة منها

(شَكُورٌ) ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير

فـ بمغفرته: - يغفر الذنوب و يستر العيوب

و بـ شكره: - يتقبل الحسنات و يضاعفها أضعافا كثيرة 23

(أَمْ يَقُولُونَ) أى المكذبون للرسول ﷺ جرأة منهم و كذبا: - فرموك بأشنع الأمور و أقبحها (أَفْتَرَى) اختلق

(عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بـ: -

1- ادعاء النبوة

2- و النسبة إلى الله ما هو برىء منه

و هم يعلمون صدقك و أمانتك فكيف يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟

*بل تجرأوا بذلك على الله تعالى فإنه قدح في الله حيث ممكنك من هذه الدعوة العظيمة المتضمنة -

على موجب زعمهم - أكبر الفساد في الأرض حيث :-

1- مكنه الله من التصريح بالدعوة

2- ثم بنسبتها إليه

3- ثم يؤيده بـ: -

المعجزات الظاهرات

و الأدلة القاهرات

و النصير المبين

و الاستيلاء على من خالفه

(فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ)

و هو تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها و مادتها

و هو أن يختم على قلب الرسول ﷺ [وَسَلَبَكَ مَا كَانَ آتَاكَ مِنَ الْقُرْآنِ]: - فلا يعى شيئا و لا يدخل إليه خير

*و إذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله و انقطع.

فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول و أقوى شهادة من الله له على ما قال

و لا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر و لهذا من حكمته و رحمته

*أَوَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ 44 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ 45 ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ 46 فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ [الحاقة]

أي: - لانتقمنا منه أشد الانتقام و ما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

(وَمَعَ اللَّهِ الْبَاطِلُ) و سنته الجارية أنه يمحو الباطل و يزيله
* و إن كان له صولة فى بعض الأوقات فإن عاقبته الاضمحلال.

(وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ) يُحَقِّقُهُ وَ يُثَبِّتُهُ وَ يُبَيِّنُهُ وَ يُوضِّحُهُ

(يَكَلِّمَتِهِ) بِحُجَجِهِ وَ بَرَاهِينِهِ الكونية التى لا تغير و لا تبدل
و وعده الصادق و كلماته الدينية التى تحقق ما شرعه من الحق و تثبته فى القلوب و تبصر أولى الألباب
حتى إن من جملة إحقاقه تعالى الحق أن يُقَيِّضَ له الباطل ليقاومه
* فإذا قاومه صال عليه الحق ببراهينه و بيناته فظهر من نوره و هداه ما به يضمحل الباطل و ينقمع
و يتبين بطلانه لكل أحد و يظهر الحق كل الظهور لكل أحد.

(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها و ما اتصفت به من خير و شر و ما أكنته و لم تبد 24

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ) فِي الْمُسْتَقْبَلِ

(عَنْ عِبَادِهِ) هذا بيان لكمال كرم الله تعالى و سعة جوده و تمام لطفه

بِقَبُولِ التَّوْبَةِ الصَّادِرَةِ مِنْ عِبَادِهِ حِينَئِذٍ:-

1- يَقْلَعُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ

2- وَيَنْدَمُونَ عَلَيْهَا

3- وَيَعِزُّونَ عَلَى أَنْ لَا يَعَاودُوهَا [إِذَا قَصَدُوا بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِمْ]

فَإِنْ اللَّهُ يَقْبَلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ:-

1- انْعَقَدَتْ سَبَابُ الْهَلَاكِ

2- وَقُوعِ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ الدِّينِيَّةِ.

(وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ) فِي الْمَاضِي

و يمحوها و يمحو أثرها من العيوب و ما اقتضته من العقوبات و يعود التائب عنده كريما كأنه ما عمل سوءا قط
و يحبه و يوفقه لما يقر به إليه.

* هَوْلِهِ:- {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 110]

* مسلم :- (2747) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

لِلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٌ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَ شَرَابُهُ فَأَيَسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيَسَ مِنْ رَأْسِهِ
فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ:-

اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَ أَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ

* و لما كانت التوبة من الأعمال العظيمة التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها و قد تكون ناقصة عند نقصهما و قد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية و كان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله

ختم هذه الآية بقوله: **(وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ)** فالله تعالى دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه و التوبة من التقصير **25** فانقسموا - بحسب الاستجابة له- إلى قسمين:-

1- مستجيبين وصفهم بقوله **(وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)**:-

أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه و ينقادون له و يلبون دعوته لأن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح يحملهم على ذلك فإذا استجابوا له شكر الله لهم و هو الغفور الشكور.

(وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)

1- توفيقا و نشاطا على العمل

2- زادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب و الفوز العظيم.

2- **(وَالْكَافِرُونَ)** و أما غير المستجيبين لله و هم المعاندون الذين كفروا به و برسله

ف— **(لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)** في الدنيا و الآخرة

و قَوْلُهُ: {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} قَالَ السُّدِّيُّ: -يَعْنِي يَسْتَجِيبُ لَهُمْ. وَ كَذَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَاهُ يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ لَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَ لِأَصْحَابِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ. وَ حَكَاهُ عَنْ بَعْضِ النَّحَاةِ وَ أَنَّهُ جَعَلَهَا كَقَوْلِهِ: -{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} [آلِ عِمْرَانَ: 195].

وَ حَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ جَعَلَ لِقَوْلِهِ: -{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا} {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ} [الرُّمَّة: 18] أَيْ: هُمُ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِلْحَقِّ وَ يَتَّبِعُونَهُ هَوْلِهِ {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} [الْأَنْعَام: 36]

وَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ **26**

* ثم ذكر أن من لطفه بعباده أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة تضر بأديانهم فقال:-

(**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ مَا يَشَاءُ**) لغفلوا عن طاعة الله و أقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهي نفوسهم و لو كان معصية و ظلما.

(وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ)

بحسب ما اقتضاه لطفه و حكمته

* وَ لَكِنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَخْتَارُهُ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَيُعْزِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى وَ يُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ

(إِنَّهُمْ لِعِبَادِهِ خَيْرٌ) بما يصلحهم (بَصِيرٌ) بتدبيرهم و تصريف أحوالهم.

كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول:-

« إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك

و إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك

و إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أمرضته لأفسده ذلك

و إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك

إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني خير بصير »

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- ابن جرير عن عمرو بن حريث و غيره يقولون:-

إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ}

ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا 27

سنة الله في عباده و قدرته 28-36

(وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ)المطر الغزير الذى به يغيث البلاد و العباد

(مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا)يئسوا من نزوله

و انقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم و أيسوا و عملوا لذلك الجذب أعمالا فينزل الله الغيث

* قَوْلُهُ: {وَأِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} [الرُّوم: 49]

(وَيَنْشُرُ) به

(رَحْمَتُهُ) من إخراج الأقوات للآدميين و بهائمهم فيقع عندهم موقعا عظيما و يستبشرون بذلك و يفرحون.

(وَهُوَ الْوَلِيُّ) الذى يتولى عباده بأنواع التدبير و يتولى القيام بمصالح دينهم و دنياهم.

(الْحَمِيدُ) فى ولايته و تدبيره الحميد على ما له من الكمال و ما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال 28

(وَمِنْ آيَاتِهِ) و من أدلة قدرته العظيمة و أنه سيحيي الموتى بعد موتهم

(خَلْقُ) هذه

(السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على عظمهما و سعتهما الدال على قدرته و سعة سلطانه

و ما فيهما من الإتقان و الإحكام دال على حكمته و ما فيهما من المنافع و المصالح دال على رحمته

و ذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها و أن إلهية ما سواه باطلة.

(وَمَا بَشَى) نشر (فيهما) فى السماوات و الأرض

(مِنْ دَابَّةٍ) من أصناف الدواب التى جعلها الله مصالح و منافع لعباده.

*وَهَذَا يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَسَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَطَبَاعِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ وَأَنْوَاعِهِمْ وَقَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاءِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ

(وَهُوَ) مع هذا كله

(عَلَى جَمْعِهِمْ) جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة

(إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) فقدرته و مشيئته صالحان لذلك و يتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق

و قد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين و كتبهم بوقوعه 29

(وَمَا أَصَابَكُمْ) يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد

(مِنْ مُصِيبَةٍ) فى أبدانهم و أموالهم و أولادهم و فيما يحبون و يكون عزيزا عليهم

(فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات

(وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) ما يعفو الله عنه أكثر فإن الله لا يظلم العباد و لكن أنفسهم يظلمون

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) [فاطر:45]

* ليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات و لا عجزا

*البخارى:-5641 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:-عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصِيٍّ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُّهَا

إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» 30

(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) معجزين قدرة الله عليكم

بل أنتم عاجزون في الأرض ليس عندكم امتناع عما ينفذه الله فيكم.

(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يتولاكم فيحصل لكم المنافع

(وَلَا نَصِيرٌ) يدفع عنكم المضار 31

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِنُ أَنَّ مَا كَسَبُوا يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبِيرَ الْإِلَهِمْ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

(وَمِنْ آيَاتِهِ) و من أدلة رحمته و عنايته بعباده

(الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ) من السفن و المراكب النارية و الشراعية التي من عظمها

(كَالْأَعْلَامِ) و هي الجبال الكبار التي سخر لها البحر العجاج و حفظها من التطام الأمواج

و جعلها تحملك و تحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان و الأقطار البعيدة و سخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك 32

ثم نبه على هذه الأسباب بقوله: - (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) التي جعلها الله سببا لمشيها

(فَيَظْلَلْنَ) أى: الجوار

(رَوَاكِدَ) سواكن

(عَلَى ظَهْرِهِ) (

على ظهر البحر لا تتقدم و لا تتأخر و لا ينتقض هذا بالمراكب النارية فإن من شرط مشيها وجود الريح.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ)

كثير الصبر على ما تكرهه نفسه و يشق عليها (في الشدائد) فيكرهها عليه من مشقة طاعة

أو ردع داع إلى معصية أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط

(شكّر) فى الرخاء و عند النعم يعترف بنعمة ربه و يخضع له و يصرفها فى مرضاته فهذا الذى ينتفع بآيات الله.

و أما الذى لا صبر عنده و لا شكر له على نعم الله فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات **33**

(أَوْ يُوقِعْهُمْ) وَ لَوْ شَاءَ لَأَهْلَكَ السُّفْنُ وَ غَرَّقَهَا

(يَمَّا كَسَبُوا) بِذُنُوبِ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ رَاكِبُونَ عَلَيْهَا

(وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَ لَوْ أَخَذَهُمْ بِجَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ لَأَهْلَكَ كُلَّ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ **34**

ثم قال تعالى:- (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا) ليطلوها بباطلهم.

(مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ) ملجأ أو منقذ مما حل بهم من العقوبة **35**

هذا تهديد فى الدنيا و ترغيب فى الآخرة و ذكر الأعمال الموصلة إليها فقال:-

(فَمَا أُوتِيتُمْ) حصلتم

(مِنْ شَيْءٍ) من ملك و رياسة و أموال و بنين و صحة و عافية بدنية

(فَتَنَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) لذة منغصة منقطعة.

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب الجزيل و الأجر الجليل و النعيم المقيم

(خَيْرٌ) من لذات الدنيا خيرية لا نسبة بينهما

(وَأَبْقَى) لأنه نعيم لا منغص فيه و لا كدر و لا انتقال. ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال:-

(لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) جمعوا بين:-

1-الإيمان الصحيح المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة و الباطنة

2-و بين التوكل الذى هو الآلة لكل عمل فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام

وهو:-

الاعتماد بالقلب على الله فى جلب ما يحبه العبد و دفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى **36**

من صفات المؤمنين و عاقبة الكافرين 37-46

(وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِلَهِمِ وَالْفَوَاحِشِ)

و الفرق بين الكبائر و الفواحش - مع أن جميعهما كبائر -

(كَثِيرَ الْإِلَهِمِ) ما ليس كذلك هذا عند الاقتران

أن (وَالْفَوَاحِشِ)

هى الذنوب الكبار التى فى النفوس داع إليها كالزنا و نحوه و أما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

* ما فَحَش و قَبَح من أنواع المعاصى

*الْفَوَاحِشُ مِنْ جُمْلَةِ الْكَبَائِرِ وَ الْأَظْهَرُ أَنَّهَا مِنْ أَشْنَعِهَا
لِأَنَّ الْفَاحِشَةَ فِي اللُّغَةِ هِيَ الْخَصْلَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي الْقُبْحِ وَ كُلُّ مُتَشَدِّدٍ فِي شَيْءٍ مُبَالِغٌ فِيهِ فَهُوَ فَاحِشٌ فِيهِ.

(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)

سَجِيَّتُهُمْ وَ خَلْقُهُمْ وَ طَبْعُهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحَ وَ الْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ لَيْسَ سَجِيَّتُهُمْ الْإِنْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ.
البخارى 6126 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:-

«مَا خَيْرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ
وَ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ»
*أى: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق و محاسن الشيم

فصار الحلم لهم سجية و حسن الخلق لهم طبيعة

حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله :- كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه ببل :-

غفروه و لم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان و العفو و الصّفح.

فترتب على هذا العفو و الصّفح من المصالح و دفع المفاصد فى أنفسهم و غيرهم شىء كثير كما قال تعالى :-
(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

* قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:- عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ:- كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَذِلُّوا وَ كَانُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَوا 37

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) *أى: انقادوا لطاعته و لبّوا دعوته و صار قصدهم رضوانه و غايتهم الفوز بقربه.

(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ظاهرها و باطنها فرضها و نفلها.

* و من الاستجابة لله إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة فلذلك عطفهما على ذلك من باب عطف العام على الخاص
الذال على شرفه و فضله

(وَأَمْرُهُمْ) (الدينى و الدنيوى

(شُورَى يَبْنِيهِمْ) لا يُبْرَمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ لِيَتَسَاعَدُوا بِآرَائِهِمْ فِي مِثْلِ الْحُرُوبِ وَ مَا جَرَى مَجْرَاهَا

كقوله: {وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران: 159]

و لهذا كان ﷺ يُشَاوَرُهُمْ فِي الْحُرُوبِ وَ نَحْوِهَا لِيُطِيبَ بِذَلِكَ قُلُوبَهُمْ.
وَ هَكَذَا لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ الْوَفَاةَ حِينَ طُعِنَ جَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ شُورَى فِي سِتَّةِ نَفَرٍ وَ هُمْ:-
عُثْمَانُ وَ عَلِيٌّ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ سَعْدٌ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ
فَاجْتَمَعَ رَأْيُ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ عَلَيْهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أى: لا يستبد أحد منهم برأيه فى أمر من الأمور المشتركة بينهم و هذا لا يكون إلا فرعا عن:-

اجتماعهم و توالفهم و تواددهم و تحاببهم و كمال عقولهم أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التى تحتاج إلى أعمال الفكر و الرأى فيها اجتمعوا لها و تشاوروا و بحثوا فيها حتى إذا تبينت لهم المصلحة انتهزوها و بادروها و ذلك كالرأى فى:- الغزو و الجهاد و تولية الموظفين لإمارة أو قضاء أو غيره و كالبحث فى المسائل الدينية عموما فإنها من الأمور المشتركة و البحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله و هو داخل فى هذه الآية.

(وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

من النفقات الواجبة كالزكاة و النفقة على الأقارب و نحوهم و المستحبة كالصدقات على عموم الخلق 38

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) أى: وصل إليهم من أعدائهم

(هُمْ يَنْصِرُونَ) لقوتهم و عزتهم و لم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار بل يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ بَغَى عَلَيْهِمْ وَ إِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا إِذَا قَدَرُوا وَ عَفَوْا كَمَا قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِخْوَتِهِ:-
{ لَا تَرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [يُوسُفُ: 92] مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مُوَاحَذَتِهِمْ وَ مُقَابَلَتِهِمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ إِلَيْهِ

* وَ كَمَا عَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أُولَئِكَ الثَّغَرِ الثَّمانِينَ الَّذِينَ قَصَدُوهُ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَ نَزَلُوا مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ فَلَمَّا قَدَّرَ عَلَيْهِمْ مَنْ عَلَيْهِمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ
* وَ كَذَلِكَ عَفُوهُ عَنْ غَوْرَثِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي أَرَادَ أَلْفَتَكَ بِهِ ﷺ حِينَ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَ هُوَ نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظَ ﷺ وَ هُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَأَنْتَهَرَهُ فَوَضَعَهُ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَ دَعَا أَصْحَابَهُ ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمَرَ هَذَا الرَّجُلَ وَ عَفَا عَنْهُ.
* وَ كَذَلِكَ عَفَا عَنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعَصَمِ الَّذِي سَحَرَهُ ﷺ وَ مَعَ هَذَا لَمْ يَعْزُضْ لَهُ وَ لَا عَاتَبَهُ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ.
* وَ كَذَلِكَ عَفُوهُ ﷺ عَنِ الْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ - وَ هِيَ زَيْنَبُ أُخْتِ مَرْحَبِ الْيَهُودِيِّ الْخَيْبَرِيِّ الَّذِي قَتَلَهُ مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ - الَّتِي سَمَتِ الذَّرَاعَ يَوْمَ خَيْبَرَ فَأَخْبَرَهُ الذَّرَاعُ بِذَلِكَ فَدَعَاها فَأَعْتَرَفَتْ فَقَالَ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ" قَالَتْ: أَرَدْتُ إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْكَ فَأَطْلَقَهَا ﷺ
* وَ لَكِنْ لَمَّا مَاتَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ قَتَلَهَا بِهِ وَ الْأَحَادِيثُ وَ الْأَثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
* فوصفهم بالإيمان و على الله و اجتناب الكبائر و الفواحش الذى تكفر به الصغائر و الانقياد التام و الاستجابة لربهم و إقامة الصلاة و الإنفاق فى وجوه الإحسان و المشاورة فى أمورهم و القوة و الانتصار على أعدائهم
فهذه خصال الكمال قد جمعوها و يلزم من قيامها فيهم فعل ما هو دونها و انتفاء ضدها 39

(وَجَزَوْا سَيِّئَةً) المسمى (سَيِّئَةً) عقوبته بسيئة (مَثَلًا) من غير زيادة

* هَوَلِهِ {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: 194]

* وَ هَوَلِهِ {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: 129]

فَشَرَعَ الْعَدْلَ وَ هُوَ الْقَصَاصُ وَ نَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَ هُوَ الْعَفْوُ هَوَلِهِ

{وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة: 45]

* ذكر الله في هذه الآية مراتب العقوبات و أنها على ثلاث مراتب:-

1- **عدل** 2- **وفضـل** 3- **و ظلم**.

فمرتبة **العدل**:-

جزاء السيئة بسيئة مثلها لا زيادة و لا نقص فالنفس بالنفس و كل جارحة بالجارحة المماثلة لها و المال يضمن بمثله.

و مرتبة **الفضـل**:- العفو و الإصلاح عن المسيء

و لهذا قال: (**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**) يجزيه أجرا عظيما و ثوابا كثيرا

* و شرط الله في العفو الإصلاح فيه ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه و كانت المصلحة الشرعية تقتضى عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.

* و فى جعل أجر العافى على الله ما يهيج على العفو و أن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به
* فكما يحب أن يعفو الله عنه فليعف عنهم و كما يحب أن يسامحه الله فليسامحهم فإن الجزاء من جنس العمل.

﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾

جاء في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله أن ابنه صالحا قال: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:

لَقَدْ جَعَلْتُ الْمَيْتَ (يقصد الخليفة المعتصم، إذ ضربه في محنة خلق القرآن الكريم)

فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِهِ إِنِّي، ثُمَّ قَالَ: مَرَرْتُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ ^(١)

فَنَظَرْتُ فِي تَفْسِيرِهَا، فَإِذَا هُوَ مَا أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، أَخْبَرَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ قَالَ:

أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جِثَّتِ الْأُمَمُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ تُؤَدِّي أَنْ لَا يَقُومَ إِلَّا مَنْ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا.

قَالَ: أَيُّ ابْنِ حَنْبَلٍ: فَجَعَلْتُ الْمَيْتَ فِي حِلٍّ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا عَلَى رَجُلٍ أَنْ لَا يُعَذِّبَ اللَّهُ بِسَبِيهِ أَحَدًا؟!

*مسلم (2588) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

« مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »

و أما مرتبة **الظلم**:-

فقد ذكرها بقوله: (**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**)

الذين يجنون على غيرهم ابتداء أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته فالزيادة ظلم 40

(**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**) انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه

(**فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**) لا حرج عليهم في ذلك.

و دل قوله: (**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ**) و قوله:- (**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**) أنه:-

لا بد من إصابة البغى و الظلم و وقوعه.

* و أما إرادة البغى على الغير و إرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء فهذا لا يجازى بمثله و إنما يؤدب تأديبا يردعه عن قول أو فعل صدر منه **41**

(**إِنَّمَا**) تتوجه (**السَّبِيلُ**) الحجة بالعقوبة الشرعية-المؤاخذة

(**عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**) يتعدون على الناس ظلماً و عدواناً

(**وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ**) يتجاوزون الحد الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه فيفسدون في الأرض (**يَغْيِرُ الْحَقَّ**)

و هذا شامل للظلم و البغى على الناس في دمائهم و أموالهم و أعراضهم.

*يَبْدُوْنَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:-

*مسلم(2587) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا

(معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبائى منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبائى أكثر مما قال له)

فَعَلَى الْبَائِي مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ

(**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) موجه للقلوب و الأبدان بحسب ظلمهم و بغيهم **42**

(**وَلَكِنْ صَبْرٌ**) على ما يناله من أذى الخلق

(**وَعَفْرٌ**) لهم بأن سمح لهم عما يصدر منهم

(**إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) المشكورة و الأفعال الحميدة التي:-

1-أمر الله بها و رتب لها ثواباً جريلاً و ثناءً حميداً.

2-حث الله عليها و أكدها

3-لا يوفق لها إلا أهل الصبر و الحظوظ العظيمة و أولو العزائم و الهمم و ذوو الألباب و البصائر.

*فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل من أشق شئىء عليها

و الصبر على الأذى و الصفح عنه و مغفرته و مقابلاته بالإحسان أشق و أشق و لكنه يسير :-

1-**على من يسره الله عليه**

2-**و جاهد نفسه على الاتصاف به و استعان الله على ذلك**

ثم إذا ذاق العبد حلاوته و وجد آثاره تلقاه برحب الصدر و سعة الخلق و التلذذ فيه **43**

*يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية و الإضلال و أنه

(**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ**) بسبب ظلمه

(فَمَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) يتولى أمره و يهديه.

(وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ)

مرأى و منظرا فظيعا صعبا شنيعا يظهرن الندم العظيم و الحزن على ما سلف منهم

و (يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل و هذا طلب للأمر المحال الذى لا يمكن.

*كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا

يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 27 28]

وَاعْلَمَ أَنَّ كِبَائِرَ الْإِثْمِ لَيْسَتْ مَحْدُودَةً فِي عَدَدٍ مُعَيَّنٍ وَ قَدْ جَاءَ تَعْيِينُ بَعْضِهَا كَالسَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ أَيْ الْمُهْلِكَاتِ لِعَظَمَتِهَا وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهَا:-

الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ السَّحَرُ وَ أَكْلُ الرِّبَا وَ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَ التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَ قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ.

وَ قَدْ جَاءَتْ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِي تَعْيِينِ بَعْضِ الْكِبَائِرِ كَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ

وَ اسْتِحْلَالِ حُرْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ

وَ الرَّجُوعُ إِلَى الْبَادِيَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَ شُرْبِ الْخَمْرِ

وَ الْيَمِينَ الْغَمُوسِ

وَ السَّرِقَةِ

وَ مَنَعَ فَضْلِ الْمَاءِ

وَ مَنَعَ فَضْلِ الْكَلَا

وَ شَهَادَةِ الزُّورِ.

وَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ:-

أَنَّ أَكْبَرَ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ ثُمَّ قَتَلَ الرَّجُلَ وَلَدَهُ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَهُ ثُمَّ زَنَاهُ بِحَلِيلَةِ جَارِهِ.

وَ فِي بَعْضِهَا أَيْضًا «أَنَّ مِنَ الْكِبَائِرِ تَسَبُّبُ الرَّجُلِ فِي سَبِّ وَالِدَيْهِ» .

وَ فِي بَعْضِهَا أَيْضًا «أَنَّ سَبَابَ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَ قِتَالُهُ كُفْرٌ»

وَ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهِمَا مِنَ الْكِبَائِرِ.

وَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ:- «أَنَّ مِنَ الْكِبَائِرِ الْوُقُوعَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ وَ السَّبْتَيْنِ بِالسَّبَةِ» .

وَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ «أَنَّ مِنْهَا جَمْعُ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ» .

وَ فِي بَعْضِهَا «أَنَّ مِنْهَا الْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ» .

وَ يَدُلُّ عَلَيْهِمَا قَوْلُهُ -تَعَالَى{إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: 87] وَ قَوْلُهُ:

{ فَلَا يَأْمَنْ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف: 99] وَ فِي بَعْضِهَا «أَنَّ مِنْهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ»

وَ يَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى:- {وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ

وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [الفتح: 6] وَ فِي بَعْضِهَا «أَنَّ مِنْهَا الْإِضْرَارَ فِي الْوَصِيَّةِ» 44

وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِّنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِّن طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾
 وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ
 مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكَيرٍ ﴿٤٧﴾
 فَإِن أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا
 وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهْبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنشَاءً
 وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا
 أَوْ مِّن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

(وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) على النار

(خَشِيعَاتٍ مِّنَ الدُّلِّ) ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي فى قلوبهم

(يَنْظُرُونَ) ينظرون إلى النار

(مِّن طَرَفٍ خَفِيٍّ) مسارقة و شزرا من هيبتها و خوفها

(وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) حيث ظهرت عواقب الخلق و تبين أهل الصدق من غيرهم:

(إِنَّ الْخَاسِرِينَ) على الحقيقة

(الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ)

حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب و حصلوا على أليم العقاب و فرق بينهم و بين أهلهم فلم يجتمعوا بهم آخر ما عليهم.

(أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ) أنفسهم بالكفر و المعاصى

(فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ)

دائم سرمدى أبدى-فى سوائه و وسطه منغمرين لا يخرجون منه أبدا و لا يفتر عنهم و هم فيه مبلسون 45

(وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ) ينقذونهم

(مِنْ دُونِ اللَّهِ)

كما كانوا فى الدنيا يمنون بذلك أنفسهم
ففى القيامة يتبين لهم و لغيرهم أن أسبابهم التى أملوها تقطعت و أنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم.

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) تحصل به هدايته

فهؤلاء ضلوا حيث زعموا فى شركائهم النفع و دفع الضر فتيين حينئذ ضالاهم.

*لأنه قد سدت عليه طرق النجاة فالهداية و الإضلال بيده سبحانه و تعالى دون سواه 46

اثبات القيامة 47

(أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ)

يأمر تعالى عباده بـ:—

1- الاستجابة له بامثال ما أمر به

2- و اجتناب ما نهى عنه

3- و بالمبالغة اذرة بذلك و عدم التسويف

(مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) القيامة الذى إذا جاء

(لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) لا يمكن رده و استدراك الفائت

(مَا لَكُمْ) و ليس للعبد

(مِنْ مَلْجَأٍ) يلجأ إليه فيفوت ربه و يهرب منه.

(يَوْمَئِذٍ) فى ذلك اليوم بل قد أحاطت الملائكة بالخلقة من خلفهم و نودوا

(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)

*لَيْسَ لَكُمْ حِصْنٌ تَحْصِنُونَ فِيهِ وَ لَا مَكَانٌ يَسْتُرْكُمْ وَ تَتَنَكَّرُونَ فِيهِ فَتَغِيْبُونَ عَنْ بَصَرِهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى
بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُمْ بِعِلْمِهِ وَ بَصَرِهِ وَ قُدْرَتِهِ فَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ

{ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ كَلَّا لَا وَرَرْتُ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ } [الْقِيَامَةُ: 10-12] .

(وَمَا لَكُمْ) و ليس للعبد فى ذلك اليوم

(مِنْ نَكِيرٍ) تتنكرون فيه- لما اقترفه و أجرمه بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه.

و هذه الآية و نحوها فيها ذم الأمل و الأمر بانتهاز الفرصة فى كل عمل يعرض للعبد فإن للتأخير آفات 47

(فَإِنْ أَعْرَضُوا) عما جئتهم به بعد البيان التام

(فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) تحفظ أعمالهم و تسأل عنها- *لَسْتَ عَلَيْهِمْ مُصِيطِرٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: 272]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد: 40]

(إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) إِنَّمَا كَلَّفْنَاكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ رسالة الله إليهم.

* فإذا أديت ما عليك فقد وجب أجرك على الله سواء استجابوا أم أعرضوا و حسابهم على الله الذي يحفظ

عليهم صغير أعمالهم و كبيرها و ظاهرها و باطنها.

انعام الله و موقف العباد من ذلك 48

(وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا)

ثم ذكر تعالى حالة الإنسان و أنه إذا أذاقه الله

(رَحْمَةً) من صحة بدن و رزق رغد و جاه و نحوه

(فَرِحَ بِهَا) فرحاً مقصوراً عليها لا يتعدها و يلزم من ذلك طمأنينته بها و إعراضه عن المنعم.

(وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سَبِيلَةً) مرض أو فقر أو نحوهما

(بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) طبيعته كفران النعمة السابقة و التسخط لما أصابه من السيئة.

* كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: - البخارى 304 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ

فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَ تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَ دِينَ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ

إِحْدَاكُنَّ» قُلْنَ- وَ مَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَ عَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:-

«أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ:- بَلَى قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا

أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تَصَلِّ وَ لَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» 48

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)

(يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا) مثل لوط عليه السلام

(وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ) مثل الخليل ابراهيم عليه السلام فمن الخلق من يهب له إناثا و منهم من يهب له ذكور 49

(أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) و منهم من يزوجه أى: يجمع له ذكورا و إناثا (ليس معناه: يُنكحهم)

(وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) و منهم من يجعله عقيماً لا يولد له كَيْحَيَّ وَ عَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(إِنَّهُ عَلِيمٌ) بكل شئ

(فَذِيرٌ) على كل شئ فيتصرف بعلمه و إتقانه الأشياء و بقدرته في مخلوقاته.

هذه الآية فيها الإخبار عن:-

1-سعة ملكه تعالى

2-و نفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء

3-و التدبير لجميع الأمور

حتى إن تدبيره تعالى من عمومته أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء 50

أنواع الوحي 51

(وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) لما قال المكذبون لرسول الله الكافرون بالله:-

(لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ)

من كبرهم و تجبرهم رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة و أن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه للأنبياء و المرسلين و صفوته من العالمين و أنه يكون على أحد هذه الأوجه.

إما (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) بأن يلقي الوحي في قلب الرسول من غير إرسال ملك و لا مخاطبة منه شفاها.

(أَوْ) يكلمه منه شفاها لكن (مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ) كما حصل لموسى بن عمران كليم الرحمن.

(أَوْ) يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي

فــــ (رُسُلٍ رَسُولًا) كجبريل أو غيره من الملائكة.

(فَيُوحِي بِإِذْنِهِ) أي: بإذن ربه لا بمجرد هواه

(مَا يَشَاءُ إِنَّهُ) تعالى

(عَلَيَّ) الذات

(عَلَيَّ) الأوصاف عظيمها علي الأفعال قد قهر كل شيء و دانت له المخلوقات

(حَكِيمٌ)

في وضعه كل شيء في موضعه من المخلوقات و الشرائع 51

.....

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ
مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

43-سورة الزخرف-مكية--بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾
وَلَئِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ
قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا
وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

(وَكَذَلِكَ) حين أوحينا إلى الرسل قبلك (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) و هو هذا القرآن الكريم

سمـاه روحاً لأن:- الروح يحيا به الجسد

و القرآن تحيا به القلوب و الأرواح و تحيا به مصالح الدنيا و الدين لما فيه من الخير الكثير و العلم الغزير.
و هو محض منة الله على رسوله و عباده المؤمنين من غير سبب منهم

و لهذا قال: (مَا كُنتَ تَدْرِي) قبل نزوله عليك

(مَا الْكِتَابُ) أى ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة

(وَلَا الْإِيمَانُ) و عمل بالشرائع الإلهية. بل كنت أميا لا تخط و لا تقرأ فجاءك هذا الكتاب

(وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا)

يستضيئون به فى ظلمات الكفر و البدع و الأهواء المردية و يعرفون به الحقائق و يهتدون به إلى الصراط
المستقيم.

{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ فُصِّلَتْ: [44]}

(وَإِنَّكَ) يا محمد (لَتَهْدَى) تبين و توضح (إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الخلق القويم

و ترغبهم فيه و تنهاهم عن ضده و ترهبهم منه 52

ثم فسر الصراط المستقيم فقال: (صِرَاطِ اللَّهِ)

الصراط الذى نصبه الله لعباده و أخبرهم أنه موصل إليه و إلى دار كرامته

(الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) رَبُّهُمَا وَ مَالِكُهُمَا وَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

(آلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ) ترجع (الْأُمُورُ) جميع أمور الخير و الشر

فيجازي كلاً بحسب عمله إن خيراً فخير و إن شراً فشر 53

43-تفسير سورة الزخرف-مكية-بسم الل الرحمن الرحيم

القرآن و مكانته 4-1

(حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)

هذا قسم بالقرآن على القرآن فأقسم بالكتاب المبين و أطلق و لم يذكر المتعلق لـ —دل على:—

أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا و الدين و الآخرة 2

(إِنَّا جَعَلْنَاهُ) (صيرناه لان (جعل):متعد لمفعولين) -أنزلناه

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) هذا المقسم عليه أنه جعل بأفصح اللغات و أوضحها و أبينها

و هذا من بيانه و ذكر الحكمة في ذلك فقال:—

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون و تفهمون ألفاظه و معانيه لتيسرها و قربها من الأذهان.

* كما قَالَ: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشُّعْرَاءُ: 195] 3

(وَلِإِنَّهُ) أى: هذا الكتاب

(فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا) فى المأ الأعلى فى أعلى الرتب و أفضلها

(لَعَلِّي) فى قدره و شرفه و محله

(حَكِيمٌ) فيما يشتمل عليه من الأوامر و النواهي و الأخبار فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل و الميزان

* كما قَالَ:- {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الْوَاقِعَةُ: 77 - 80]

و قَالَ:- {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عَبَسَ: 11 - 16] 4

*ثم أخبر تعالى أن حكمته و فضله يقتضي أن لا يترك عباده هملاً لا يرسل إليهم رسولا و لا ينزل عليهم كتابا

و لو كانوا مسرفين ظالمين فقال:—

استهزاء و عقوبة المسرفين 8-5

(أَفَضْرِبُ) أفعرض (عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) إمسأ

* و نترك إنزال الذكر إليكم و نضرب عنكم صفحا لأجل إعراضكم و عدم انقيادكم له؟

بل ننزل عليكم الكتاب و نوضح لكم فيه كل شيء فإن آمنتم به و اهتديتم فهو من توفيقكم و إلا قامت عليكم الحجة و كنتم على بينة من أمركم.

(**أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ**) إسرافكم في عدم الإيمان به

*يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق أن لا نتركهم هملا 5

(**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ**) يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك لهو لم يزل التكذيب موجودا في الأمم.

(**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**) جحدا لما جاء به و تكبرا على الحق.

(**فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ**) من هؤلاء

(**بَطْشًا**) قوة و أفعالا و آثارا في الأرض

* **كَقَوْلِهِ: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً غَافِرٍ: 82}**

(**وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ**)

مضت أمثالهم و أخبارهم و بينا لكم منها ما فيه عبرة و مزدجر عن التكذيب و الإنكار.

* **كَقَوْلِهِ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}** [الزُّخْرَفِ: 56] .

وَ **كَقَوْلِهِ: {سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}** [غَافِرٍ: 85] وَ قَالَ: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الْأَحْزَابِ: 62] 8

* يخبر تعالى عن المشركين (**وَلَيْنِ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ**) الله وحده لا شريك له

عظمة الله و نعمه 9-14

(**الْعَزِيزُ**) الذى دانت لعزته جميع المخلوقات

(**الْعَلِيمُ**) بظواهر الأمور و بواطنها و أوائلها و أواخرها

فإذا كانوا مقرين بذلك فكيف يجعلون له الولد و الصاحبة و الشريك؟!

و كيف يشركون به من لا يخلق و لا يرزق و لا يميت و لا يحيي؟! 9

* ثم ذكر أيضا من الأدلة الدالة على كمال نعمته و اقتداره:-

(**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا**) مهدها و جعلها قرارا و فراشا للعباد يتمكنون فيها من كل ما يريدون.

(**وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا**)

جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار فى السير فى الطرق

و لا تضيعون

(**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) أيضا فى الاعتبار بذلك و الادكار فيه 10

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾

لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا

وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أُتَّخَذَ مِنَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ وَأَصْفَانَا بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾

وَلِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾

أَوْ مَن يُنَشِّئُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ هُمَ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ

أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ هَلْ يَدْرِكُونَ بِذَلِكَ

مِنَ الْعِلْمِ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَيْنَافُ كَتَبْنَا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ) لا يزيد و لا ينقص و يكون أيضا بمقدار الحاجة

* لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع و لا يزيد بحيث يضر العباد و البلاد بل أغاث به العباد و أنقذ به البلاد من الشدة و لهذا قال:-

(فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) أحييناها بعد موتها

(كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ)

فكما أحيأ الأرض الميتة الهامدة بالماء كذلك يحييكم بعد ما تستكملون فى البرزخ ليجازيكم بأعمالكم 11

(وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف

(كُلَّهَا) جميعها

مما تنبت الأرض و من أنفسهم و مما لا يعلمون من ليل و نهار و حر و برد و ذكر و أنثى و غير ذلك.

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ) السفن البحرية الشراعية و النارية

(و) من (وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) 12

(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ) و هذا شامل لظهور الفلك و لظهور الأنعام أى: لتستقروا عليها

(ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ)

بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها و الشاء عليه تعالى بذلك و لهذا قال:-

(وَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) أى: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك و الأنعام

(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)

مطيقين لذلك و قادرين عليه و لكن من لطفه و كرمه تعالى سخرها و ذللها و يسر أسبابها.

*مسلم (1342) عن ابن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:-

كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:-

سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَ التَّقْوَى وَ مِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى

اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَ اطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ

اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ (المشقة و الشدة) السَّفَرِ وَ كَاثِبَةِ الْمَنْظَرِ (تغيير النفس من حزن و نحوه) وَ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ (المرجع)

فِي الْمَالِ وَ الْأَهْلِ»

وَ إِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَ زَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»

و المقصود من هذا:-

بيان أن الرب الموصوف بما ذكره من إفاضة النعم على العباد هو الذي يستحق أن يعبد و يصلى له و يسجد **13**

و لتقولوا أيضاً (وَلِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد مماتنا (لَمُنْقَلِبُونَ) لصائرون إليه راجعون.

* وَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِسِرِّ الدُّنْيَا عَلَى سِرِّ الْآخِرَةِ كَمَا نَبَّهَ بِالزَّادِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى الزَّادِ الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ:-

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: 197] وَ بِاللَّبَّاسِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:-

أَوْ رِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ [الأعراف: 26]

* قَوْلُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا افْتَرَوْهُ وَ كَذَّبُوهُ فِي جَعْلِهِمْ بَعْضَ الْأَنْعَامِ لَطَوَاعِيَّتِهِمْ وَ بَعْضَهَا لِلَّهِ كَمَا

ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ "الْأَنْعَامِ" فِي قَوْلِهِ: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَ هَذَا

لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الأنعام: 136]

وَ كَذَلِكَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ قِسْمِي الْبَنَاتِ وَ الْبَنِينَ أَحْسَهُمَا وَ أَرَدَاهُمَا وَ هُوَ الْبَنَاتُ

كقوله: {الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى 21 تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِرَى} [النجم: 14]

وَ قَالَ هَاهُنَا: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه

(مُبِينٌ) مظهر لجحوده و كفره يعدد المصائب و ينسى النعم **15**

افتراءات المشركين و الرد عليهم 15-25

(أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ)

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين جعلوا لله تعالى ولدا و هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة و لا ولدا و لم يكن له كفوا أحد

* وإن ذلك باطل من عدة أوجه:-

1- أن **الخلق كلهم عباده** و العبودية تنافى الولادة.

2- أن **الولد جزء من والده و الله تعالى بائن من خلقه** مباين لهم فى صفاته و نعوت جلاله و الولد جزء من الوالد فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

3- أنهم **يزعمون أن الملائكة بنات الله** و من المعلوم أن البنات أدون الصنفين فكيف يكون لله البنات و يصطفيهن بالبنين و يفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

4- أن **الصنف الذى نسبوه لله و هو البنات** أدون الصنفين و أكرههما لهم حتى إنهم من كراحتهم لذلك **16**

(**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ**) بالأنثى

(**بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا**) التى نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله

(**ظَلَّ**) صار

(**وَجْهَهُ مُسْوَدًّا**) من سوء البشارة بالأنثى من كراحتة و شدة بغضه فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

(**وَهُوَ كَظِيمٌ**) حزين مملوء من الهم و الكرب **17**

5- أن الأنثى ناقصة فى وصفها و فى منطقتها و بيانها و لهذا قال تعالى :- أتجترئون و تنسبون إلى الله تعالى

(**أَوَمَنْ يُنَشِّئُ**) يُرَبِّي (**فِي الْحَلِيِّ**) الزينة... يُجَمِّلُ فيها لنقص جماله فيجمل بأمر خارج عنه؟

(**وَهُوَ فِي الْخِصَامِ**) الجدل الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام

(**غَيْرُ مُبِينٍ**)

لحجته و لا مفصح بسبب نشأته فى الزينة و النعمة عما احتوى عليه ضميره فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

* **الْمَرْأَةُ نَاقِصَةٌ يَكْمُلُ نَقْصُهَا بِلُبْسِ الْحُلِيِّ مُنْذُ تَكُونُ طِفْلَةً**

وَ إِذَا خَاصَمَتْ فَلَا عِبَارَةَ لَهَا بَلْ هِيَ عَاجِزَةٌ عَيَّيَّةٌ أَوْ مَنْ يَكُونُ هَكَذَا يُنْسَبُ إِلَى جَنَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ !؟

فَالْأُنْثَى نَاقِصَةُ الظَّاهِرِ وَ الْبَاطِنِ فِي الصُّورَةِ وَ الْمَعْنَى

فَيَكْمُلُ نَقْصُ ظَاهِرِهَا وَ صُورَتِهَا:-

بِلُبْسِ الْحُلِيِّ وَ مَا فِي مَعْنَاهُ لِيُجَبَرَ مَا فِيهَا مِنْ نَقْصٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ:-

وَ مَا الْحَلَى إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيسَةٍ ... يَتِمُّ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصُرَا

وَ أَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمُّ أَلْ وَفَرَا ... كَحُسْنِكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يَزُورَا

وَ أَمَّا نَقْصُ مَعْنَاهَا:-

فَإِنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَاجِزَةٌ عَنِ الْإِنْتِصَارِ عِنْدَ الْإِنْتِصَارِ لَا عِبَارَةَ لَهَا وَلَا هِمَّةَ

كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ وَ قَدْ بُشِّرَ بِنْتٍ: -مَا هِيَ بِنَعْمَ الْوَلَدِ: نَصْرُهَا بِالْبُكَاءِ وَ بِرُّهَا سَرِقَةٌ" 18

6-أنهم (وَجَعَلُوا) أى و جعل هؤلاء المشركون بالله

(الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ)

فتجروا على الملائكة العباد المقربين و رقوهم عن مرتبة العبادة و الذل إلى مرتبة المشاركة لله فى شىء من خواصه ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه و عاند رسله.

7- (أَشْهَدُوا) أَحْضَرُوا حالة (خَلَقَهُمْ) حتى يحكموا بأنهم إناث؟

أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد أنه ليس لهم به علم؟!

(سَتَكُنَّ شُهَدَائِهِمْ) عليهم

(وَيُسْأَلُونَ) عنها فى الآخرة.

و لكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة و يعاقبون عليها 19

و قوله تعالى: - (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ)

فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة و هى حجة لم يزل المشركون يطرقونها و هى حجة باطلة فى نفسها عقلا و شرعا.

فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر و لو سلكه فى حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

و أما شرعا:-

فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به و لم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله

فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا

و لهذا قال هنا:- (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ) لا خبر عندهم من الله بذلك و لا برهان

(إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) إنما يقولونه تخرصا و كذبا لا دليل عليه و يتخبطون خبط عشواء 20

ثم قال:- (أَمْ أَمِنْتُمْ مِمَّنْ قَبْلِهِ) من قبل هذا القرآن

(فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) يعملون بما فيه و يخبرهم بصحة أفعالهم و صدق أقوالهم؟

أى:- لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: (أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) [الرؤم: 35] أى:- لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ.

ليس الأمر كذلك فإن الله أرسل محمدا نذيرا إليهم و هم لم يأتهم نذير غيره أى: فلا عقل و لا نقل

و إذا انتفى الأمران فلا ثمَّ إلا الباطل. نعم لهم شبهة من أوهى الشُّبه و هى: -

تقليد آبائهم الضالين الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل **21**

و لهذا قال هنا: (**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ**) دين و ملة و طريقة و مذهب

(**وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ**) فلا نتبع ما جاء به محمد ﷺ **22**

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حِثُّكُمْ بَأْهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَ لِرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا

منعموها و ملأها الذين أطعهم الدنيا و غرتهم الأموال و استكبروا على الحق

(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) ملة و دين

(وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ) وراءهم و مناهجهم و طريقتهم

(مُّقْتَدُونَ) متبعون

*لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ سِوَىٰ تَقْلِيدِ الْأَبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَ الْمُرَادُ بِهَا الدِّينُ هَاهُنَا وَ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الأنبياء: 92]

*أى فهؤلاء ليسوا ببدع منهم و ليسوا بأول من قال هذه المقالة.

*و هذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين بتقليدهم لآبائهم الضالين ليس المقصود به اتباع الحق و الهدى

و إنما هو تعصب محض يراد به نصرة ما معهم من الباطل 23

*و لهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة:-

(قُلْ أُولَٰئِكَ حِثُّكُمْ بَأْهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) فهل تتبعونى لأجل الهدى؟

(قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)

فعلم بهذا أنهم ما أرادوا اتباع الحق و الهدى و إنما قصدهم اتباع الباطل و الهوى **24**

(فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ) بتكذيبهم الحق و ردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة

(فَأَنظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم فيصيبهم ما أصابهم **25**

* يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي ينتسب إليه أهل الكتاب و المشركون و كلهم يزعم أنه على طريقته فأخبر عن دينه الذي ورثه فى ذريته فقال:-

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم و يتقربون إليهم:

(إِنِّى بَرَاءٌ) مجتنب و برىء (مِمَّا تَعْبُدُونَ) من الاصنام التى تعبدونها **26**

(إِلَّا الَّذِى فَطَرَنى) خلقنى فأنى أعبده و أعترف به

(فَإِنَّهُ سَيِّدِينَ) أى و يرشدنى إلى ما يكملنى و يسعدنى فى الحياة الدنيا للعلم بالحق و العمل به و فى الآخرة

27

(وَجَعَلَهَا) هذه الخصلة الحميدة التى هى أم الخصال و أساسها و هى إخلاص العبادة لله وحده و التبرى من عبادة ما سواه.

(كَلِمَةً) وَ هِىَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ". وَ هِىَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَ حُدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ خَلَعَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ (بَاقِيَةً) دَائِمَةً

(فِى عَقِبِهِ) ذريته مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْتَدِى بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ

(لَعَلَّهُمْ) إليها

(يَرْجِعُونَ) إلى طاعة ربهم و توحيده و يتوبون من كفرهم و ذنوبهم-

* لشهرتها عنه و توصيته لذريته و توصية بعض بنيه - كإسحاق ويعقوب- لبعض لقوله (وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) إلى آخر الآيات.

فلم تزل هذه الكلمة موجودة فى ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف و الطغيان **28**

فقال تعالى:- (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ) بأنواع الشهوات حتى صارت هى غايتهم و نهاية مقصودهم فلم تزل يتربى حبها فى قلوبهم حتى صارت صفات راسخة و عقائد متأصلة.

(حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن الذى لا شك فيه و لا مرية و لا اشتباه.

(وَرَسُولٌ مُبِينٌ)

بين الرسالة قامت أدلة رسالته قياما باهرا بأخلاقه و معجزاته و بما جاء به و بما صدق به المرسلين و بنفس

دعوته ﷺ 29

(وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) الذى يوجب على من له أدنى دين و معقول أن يقبله و ينقاد له.

(قَالُوا هَذَا سِحْرٌ) يسحرنا به

(وَلِئَانًا بِهِمْ كُفِرُوا) مكذبون

* و هذا من أعظم المعاندة و المشاقة فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه بل و لا جحده فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحا شنيعا و جعلوه بمنزلة السحر الباطل الذى لا يأتى به إلا أخبث الخلق و أعظمهم افتراء و الذى حملهم على ذلك طغيانهم بما متعهم الله به و آباءهم 30

(وَقَالُوا) مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة:-

(لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) معظم عندهم مبجل

من أهل مكة أو أهل الطائف كالوليد بن المغيرة و عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ممن هو عندهم عظيم 31 قال الله ردا لاقتراحهم:-

(أَهْمَرِ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) النبوة فيضعونها حيث شاؤوا؟

أهم الخزان لرحمة الله و بيدهم تديرها فيعطون النبوة و الرسالة من يشاءون و يمنعونها ممن يشاءون؟

(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من الأرزاق و الأقوات

(وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) فى الحياة الدنيا:- ه ذا غنى و هذا فقير و هذا قوى و هذا ضعيف

* و الحال أن (رَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) من الدنيا.

فإذا كانت معاش العباد و أرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى

و هو الذى يقسمها بين عباده فيسط الرزق على من يشاء و يضيقه على من يشاء بحسب حكمته

فرحمته الدينية التى أعلاها النبوة و الرسالة أولى و أخرى أن تكون بيد الله تعالى فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

فعلم أن:-

1- اقتراحهم ساقط لا غ

2- و أن التدبير للأمور كلها دينيها و دنيويها بيد الله وحده

هذا إقناع لهم من جهة غلطهم فى الاقتراح الذى ليس فى أيديهم منه شيء إن هو إلا ظلم منهم ورد للحق.

و قولهم: (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)

لو عرفوا حقائق الرجال و الصفات التي بها يعرف علو قدر الرجل و عظم منزلته عند الله و عند خلقه
لعلموا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ هو :-

أعظم الرجال قدرا و أعلاهم فخرا و أكملهم عقلا و أغزرهم علما و أجملهم رأيا و عزما و حزما
و أكملهم خلقا و أوسعهم رحمة و أشدهم شفقة و أهداهم و أتقاهم.

و هو قطب دائرة الكمال و إليه المنتهى في أوصاف الرجال

ألا و هو رجل العالم على الإطلاق يعرف ذلك أولياؤه و أعداؤه

* فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثقال ذرة من كماله؟!

و من جرمه ومنتهى حمقه أن جعل إلهه الذي يعبد و يدعوه و يتقرب إليه صنما أو شجرا أو حجرا لا يضر ولا
ينفع ولا يعطي ولا يمنع و هو كل على مولاه يحتاج لمن يقوم بمصالحه

فهل هذا إلا من فعل السفهاء و المجانين؟

فكيف يجعل مثل هذا عظيما؟

أم كيف يفضل على خاتم الرسل و سيد ولد آدم ﷺ؟

و لكن الذين كفروا لا يعقلون.

و في هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا

(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)

ليُسَخِّرَ بعضهم بعضا في الأعمال و الحرف و الصنائع.

فلو تساوى الناس فى الغنى و لم يحتج بعضهم إلى بعض لتعطلت كثير من مصالحهم و منافعهم.

(لاحظ ان سُخْرِيًّا بضم السين من التسخير و ليس بكسرهما من السخرية و الهُزء كقوله " فاتخذتموهم سُخْرِيًّا حتى أنسوكم ذكرى")

(وَرَحِمْتُ رِبِّيَّ) (بلدخالهم الجنة **(خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)**) من حطام الدنيا الفانى.

* و فيها دليل على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال:-

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) 32

(وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) جماعة واحدة على الكفو

(لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ)

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا و أنه لولا لطفه و رحمته بعباده التى لا يقدم عليها شيئا لوسَّع الدنيا

على الذين كفروا توسيعا عظيما

و لجعل **(لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ)** درجا من فضة-سلام

(عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ) يصعدون على سطوحهم 33

.....

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفٌ لَّهِمْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾
وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾
أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ
إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمٍ وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكَةٍ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

(وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ) من فضة و لجعل لهم 34

(وَزُخْرُفًا) و جعلنا لهم ذهبا-لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف و أعطاهم ما يشتهون
* و لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا عليهم من التسارع فى الكفر و كثرة المعاصى بسبب حب الدنيا
* ففى هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم و أن الدنيا لا تزن عند الله
جناح بعوضة و أن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا منغصة مكدره فانية

(وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

* إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ الْحَقِيرَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى
أَيُّ: يُعَجِّلُ لَهُمْ بِحَسَنَاتِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مَا كَلَّ وَ مَشَارِبَ لِيُؤَافُوا الْآخِرَةَ وَ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنَةٌ
يُجْزِيهِمْ بِهَا

* مسلم (2808) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً (معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته والظلم يطلق بمعنى النقص) يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَ يُجْزَى بِهَا فِي
الْآخِرَةِ

وَ أَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ (صار إليها) لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ
يُجْزَى بِهَا

* صحيح الجامع الصغير 6 قال النبى ﷺ: آكل كما يأكل العبد فو الذى نفسى بيده

لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا كاسا

البخارى:-2468- قال عمر رضى الله عنه: فَجِئْتُ الْعِلَامَ فَقُلْتُ:- اسْتَأْذِنُ لِعَمْرٍ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا
فَإِذَا الْعِلَامُ يَدْعُونِ قَالَ:- أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ

فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشَوَهَا لَيْفٌ.....قال عمر رضي الله عنه رَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْنَتِهِ

فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةٍ
فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ
وَاعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَكَانَ مُتَّكِنًا

قال النبي ﷺ: أَوْفَى شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
*البخارى -:4913- قال النبي ﷺ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَ لَنَا الْآخِرَةُ

*البخارى 5426 - قال النبي ﷺ «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَ لَا الدِّيْبَاجَ وَ لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ
وَ لَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَنَا فِي الْآخِرَةِ»

*وَ إِنَّمَا خَوَّلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِحَقَارَتِهَا

*سنن الترمذى 2320 عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ

وَ أَنْ (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ) عند الله تعالى خير

(لِلْمُتَّقِينَ) لربهم بامتنثال أوامره و اجتناب نواهيه

لأن نعيمها تام كامل من كل وجه و في الجنة ما تشتهيه الأنفس و تلهو الأعين و هم فيها خالدون

فما أشد الفرق بين الدارين 35

قرين الشيطان

*يخبر تعالى عن عقوبته البليغة لمن أعرض عن ذكره فقال:-

(وَمَنْ يَعِشْ) يعرض و يصد -وَ الْعِشَا فِي الْعَيْنِ: ضَعْفُ بَصَرِهَا. وَ الْمُرَادُ هَاهُنَا: عِشَا الْبَصِيرَةِ

(عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) الذي هو القرآن العظيم الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده

*فمن قبلها فقد قبل خير المواهب و فاز بأعظم المطالب و الرغائب

(نَقِصَ) نجعل (لَهُ شَيْطَانًا)

في الدنيا يغويه جزاء له على إعراضه عن ذكر الله

أو شيطانا مريدا يقارنه و يصاحبه و يعده و يمينه و يؤرّه إلى المعاصي أزا

(فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) ملازم و مصاحب يمنعه الحلال و يبيعه على الحرام.

*و من أعرض عنها و ردها فقد خاب و خسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا و قِصَ له الرحمن

*وَ هَوْلِهِ: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصَّف: 5]

وَ هَوْلِهِ: {وَقِصْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَرِيتًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ

وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فُصِّلَتْ: 25] 36

(وَلَا تَنْتَهِمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) الصراط المستقيم و الدين القويم

(وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ) بسبب تزيين الشيطان للباطل و تحسينه له و إغراضهم عن الحق فاجتمع هذا و هذا. فإن قيل: فهل لهذا من عذر من حيث إنه ظن أنه مهتد و ليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا و أمثاله الذين مصدر جهلهم الإغراض عن ذكر الله مع تمكنهم على الاهتداء فرهدوا في الهدى مع القدرة عليه و رغبوا في الباطل فالذنب ذنبهم و الجرم جرمهم. فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا مع قرينه و هو الضلال و الغي و انقلاب الحقائق. و أما حاله إذا جاء ربه في الآخرة فهو شر الأحوال و هو:-

إظهار الندم و التحسر و الحزن الذي لا يجبر مصابه و التبري من قرينه 37

و لهذا قال تعالى:- (حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) ما بين المشرق و المغرب وَ إِنَّمَا اسْتَعْمَلْ هَاهُنَا تَغْلِيْبًا كَمَا يُقَالُ:- الْقَمْرَانِ وَ الْعُمَرَانِ وَ الْأَبْوَانِ وَ الْعُسْرَانِ (فَيْتَسَّ الْقَرَيْنَ) كما في قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا 38

و قوله تعالى: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) أى يوم القيامة

(إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) اشتراككم في العذاب أنتم و قرناؤكم و أخلاؤكم و ذلك لأنكم اشتركتم في الظلم فاشتركتم في عقابه و عذابه. * و لن ينفعكم أيضا روح التسلى في المصيبة

فإن المصيبة إذا وقعت بالدنيا و اشترك فيها المعاقبون:- هان عليهم بعض الهون و تسلى بعضهم ببعض و أما مصيبة الآخرة:- فإنها جمعت كل عقاب ما فيه أدنى راحة حتى و لا هذه الراحة

نسألك يا ربنا العافية و أن تريحنا برحمتك 39

* يقول تعالى لرسوله ﷺ مسلينا له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له و أنهم لا خير فيهم و لا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى:-

(أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) الذين لا يسمعون

(أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى) الذين لا يبصرون أو تهدي

(وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن واضح لعلمه بضلاله و رضاه به.

فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات و الأعمى لا يبصر و الضال ضلالا مبينا لا يهتدي

فهؤلاء قد فسدت فطرتهم و عقولهم بإغراضهم عن الذكر و استحدثوا عقائد فاسدة و صفات خبيثة:-

1- تمنعهم و تحول بينهم و بين الهدى

2- و توجب لهم الازدياد من الردى

فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم و نكالهم:- إما في الدنيا أو في الآخرة 40

و لهذا قال تعالى:- (فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ)

فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك بأن نريك ما نعدهم من العذاب

(فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فاعلم بخبرنا الصادق أنا منهم منتقمون 41

(أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) من العذاب كيوم «بدر»

(فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ)

و لكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيره فهذه حاله و حال هؤلاء المكذبين 42

توجيهات للنبي ﷺ 43-45

و أما أنت (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ)

فعلا و اتصافا بما يأمر بالاتصاف به و دعوة إليه و حرصا على تنفيذه في نفسك و في غيرك

(إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

موصول إلى الله و إلى دار كرامته و هذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به و الاهتداء إذا علمت أنه حق

و عدل و صدق تكون بانبا على أصل أصيل إذا بنى غيرك على الشكوك و الأوهام و الظلم و الجور 43

(وَلِأَنَّهُ) هذا القرآن الكريم

(لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمُكَ) فخر لكم و منقبة جلييلة و نعمة لا يقادر قدرها و لا يعرف وصفها

و يذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي و الآخروي و يحثكم عليه و يذكركم الشر و يرهبكم عنه

(وَسَوْفَ تَسْتَخْلُونَ)

عنه هل قمتم به فارتفعتم و انتفعتم أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم و كفرا منكم بهذه النعمة؟ 44

(وَسَلِّ) أيها الرسول أتباع (مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) و حملة شرائعهم:-

(أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ) أجاءت رسلهم بعبادة غير الله؟

فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع فإن جميع الرسل دَعَوْا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له و نهوا عن عبادة ما سوى الله.

*حتى يكون للمشركين نوع حجة يتبعون فيها أحدا من الرسل فإنك لو سألتهم و استخبرتهم عن أحوالهم

لم تجد أحدا منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى:-

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل:36]

و كل رسول بعثه الله يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فدل هذا أن المشركين:-

ليس لهم مستند في شركهم لا من عقل صحيح و لا نقل عن الرسل **45**

*لما قال تعالى: (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) [الزخرف:45]

بين تعالى حال موسى و دعوته التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل و لأن الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه فذكر حاله مع فرعون فقال:-

قصة موسى مع فرعون 46-56

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا) الدالة على صحة ما جاء به كالعصا و الحية و إرسال الجراد و القمل.....الخ

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) أشراف قومه كما أرسلناك -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين من قومك

(فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

فدعاهم إلى الإقرار بربهم و نهاهم عن عبادة ما سوا **46**

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا)البيانات الواضحات الدالة على صدقه في دعوته

(إِذَا) فرعون و ملؤه مما جاءهم به موسى

(هُمْ مِنْهَا) من الآيات و العبر

(يَضَعُكَونَ)

ردوها و أنكروها و استهزأوا بها ظلما و علوا فلم يكن لقصور بالآيات و عدم وضوح فيها **47**

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ
 يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ آلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي
 أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ
 أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكُ مَقَرِّيكَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُواهُ ثُمَّ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾
 فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾
 وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ
 لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾
 وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

و لهذا قال: (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) الآية المتأخرة أعظم من السابقة

(وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ) كالجراد و القمل و الضفادع و الدم آيات مفصلات

(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلى الإسلام و يذعنون له ليزول شركهم و شرهم 31

(وَقَالُوا) عندما نزل عليهم العذاب:- (العذاب)

(يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ) يعنون موسى عليه السلام وهذا:-

* إما من باب التهكم به

* و إما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحا فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماءهم و هم السحرة

فقالوا: (وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ)

بما خصك الله به و فضلك به من الفضائل و المناقب أن يكشف عنا العذاب

(عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) إن كشف الله عنا ذلك 49

(فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) لم يفوا بما قالوا بل غدروا و استمروا على كفرهم.

و هذا كقوله {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ

133 وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ 134 فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوءِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ [الاعراف: ٥٠]

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ) قَالَ مستعليا بباطله قد غره ملكه و أطغاه ماله و جنوده:-

(قَالَ يَفْقَوْمِ آلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ) ألسنت المالك لذلك المتصرف فيه

(وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) الأنهار المنسحبة من النيل في وسط القصور و البساتين

(أَفَلَا تُبْصِرُونَ) هذا الملك الطويل العريض و هذا من جهله البليغ

حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته و لم يفخر بأوصاف حميدة و لا أفعال سديدة 51

(أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)

يعنى- قبحه الله- بالمهين موسى بن عمران كليم الرحمن الوجيه عند الله أى: أنا العزيز

و هو الذليل المهان المحتقر فأينا خير؟ (و) مع هذا

(وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) عما فى ضميره بالكلام لأنه ليس بفصيح اللسان

و هذا ليس من العيوب فى شىء إذا كان يبين ما فى قلبه و لو كان ثقيلا عليه الكلام.

*يَعْنَى فِي لِسَانِهِ شَيْءٌ مِنَ الْجَمْرَةِ حِينَ وَضَعَهَا فِيهِ وَ هُوَ صَغِيرٌ.

*فَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ لِيَفْقَهُوا قَوْلَهُ وَ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:-

{قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} [طه: 26]

وَ بِتَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ لَمْ يَسْأَلْ إِزَالَتَهُ كَمَا قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ

وَ إِذَا سَأَلَ زَوَالَ مَا يَحْصُلُ مَعَهُ الْإِبْلَاجُ وَ الْإِفْهَامُ فَالْأَشْيَاءُ الْخَلْقِيَّةُ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ لَا يُعَابُ بِهَا

وَ لَا يُدْمُ عَلَيْهَا وَ فِرْعَوْنُ وَ إِنْ كَانَ يَفْهَمُ وَ لَهُ عَقْلٌ فَهُوَ يَدْرِى هَذَا وَ إِذَا أَرَادَ التَّرْوِيجَ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَإِنَّهُمْ

كَانُوا جَهْلَةً أَغْبَاءَ 52

ثم قال فرعون:- (فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ) ما يجعل فى الايدى من الحلى

*أى: فهلا كان موسى بهذه الحالة أن يكون مزينا مجملا بالحلى و الأساور؟

(أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْتَرِينَ) يعاونونه على دعوته و يؤيدونه على قوله 53

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ)

استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه التى لا تسمن و لا تغنى من جوع و لا حقيقة تحتها

و ليست دليلا على حق و لا على باطل و لا تروج إلا على ضعفاء العقول.

*فأى دليل يدل على أن فرعون محق لكون ملك مصر له و أنهاره تجرى من تحته؟

*و أى دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلته أتباعه و ثقل لسانه و عدم تحلية الله له

و لكنه لَقِيَ مَالاً لَا مَعْقُول عندهم فمهما قال اتبعوه من حق و باطل

(لَآئِهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ) فسبب فسقهم قيس لهم فرعون يزين لهم الشرك و الشر 54

(فَلَمَّا ءَاسَفُونَا) أغضبونا بأفعالهم-أسخطونا

(أَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا لِمِثْلِ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِهِمْ.

قصة عيسى عليه السلام 66-57

(وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) ليعتبر بهم المعتبرون و يتعظ بأحوالهم المتعظون 56

يقول تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ) ضَرَبَ المشركون عيسى

(ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا)

حين خاصموا محمدا ﷺ و حاجَّوه بعبادة النصارى إياه
أى: نهى عن عبادته و جعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام و الأنداد

(إِذَا قَوْمُكَ) المكذبون لك

(مِنْهُ) أى: من أجل هذا المثل المضروب

(يَصِدُّونَ) يستلجون فى خصومتهم لك و يصيحون و يزعمون أنهم قد غلبوا فى حجتهم و أفلجوا.

(يَصِدُونَ بكسر الصاد لما ظنوه تناقضا: أى يضحكون و يضحون لما ظنوه تناقضا و ليس بضمها من الصدود كما فى قراءة أخرى)

* و ذلك عندما نزل قوله تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} و قال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى فأنزل الله {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} فالذى يُلْقَى فى النار من آلهة المشركين من رضى بعبادتهم إياه
(وَقَالُوا ءِآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ)

يعني: عيسى حيث نهى عن عبادة الجميع و شورك بينهم بالوعيد على من عبدهم
و وجه حجتهم الظالمة أنهم قالوا: -قد تقرر عندنا و عندك يا محمد أن عيسى من عباد الله المقربين الذين لهم العاقبة الحسنة فلم سويت بينه و بينها فى النهى عن عبادة الجميع؟
فلولا أن حجتك باطلة لم تناقض.

و لم قلت: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)

و هذا اللفظ بزعمهم يعم الأصنام وعيسى فهل هذا إلا تناقض؟

و تناقض الحجة دليل على بطلانها

هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة الذي فرحوا بها و استبشروا و جعلوا يصدون و يتباشرون

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) (مرءا)

(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (بالباطل)

*مسند أحمد

22164 - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: -مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: 58]

و هي - و لله الحمد- من أضعف الشبه و أبطلها

فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح و بين النهي عن عبادة الأصنام لأن العبادة حق لله تعالى لا يستحقها أحد من الخلق لا الملائكة المقربون و لا الأنبياء المرسلون و لا من سواهم من الخلق فأبي شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- أحمد 2918 - عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى ابْنِ عُقَيْلٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ:-

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ فَمَا أَدْرَى أَعَلِمَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا فَيَسْأَلُوا عَنْهَا؟ ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا فَلَمَّا قَامَ تَلَاوَمْنَا أَنْ لَا نَكُونَ سَأَلْتَاهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ غَدًا فَلَمَّا رَاحَ الْغَدَ قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ذَكَرْتَ أَمْسَ أَنَّ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ فَلَا تَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا؟ فَقُلْتُ: أَخْبَرَنِي عَنْهَا وَعَنِ اللَّاتِي قَرَأْتَ قَبْلَهَا.

قَالَ: نَعَمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: -يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ- وَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا فَلَيْنَ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:- {وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: 57]

قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضْجُونَ {وَأَنَّهُ لَعَلُّ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف: 61]

قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ 57

* و ليس تفضيل عيسى عليه السلام و كونه مقربا عند ربه ما يدل على:- الفرق بينه و بينها في هذا الموضع

و إنما هو كما قال تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ) عيسى عليه السلام

(أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ)

بالنبوة و الحكمة و العلم و العمل

(وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ) يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

و أما قوله تعالى:- (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)

فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:-

1- أن قوله: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أن (ما) اسم لما لا يعقل لا يدخل فيه المسيح و نحوه.

2- أن الخطاب للمشرّكين الذين بمكة و ما حولها و هم إنما يعبدون أصناما و أوثانا و لا يعبدون المسيح.

3- أن الله قال بعد هذه الآية:- (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)

فلا شك أن عيسى و غيره من الأنبياء و الأولياء داخلون في هذه الآية 59

ثم قال تعالى:- (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ) بدلکم

(مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ) يخلفونكم في الأرض و يكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم

و أما أنتم يا معشر البشر فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة

فمن رحمة الله بكم أن أرسل إليكم رسلا من جنسكم تتمكنون من الأخذ عنهم 60

وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوايَ ۖ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَبْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

(وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ)

و إن عيسى عليه السلام للدليل على الساعة و أن القادر على إيجاده من أم بلا أب قادر على بعث الموتى من قبورهم أو و إن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان و يكون نزوله علامة من علامات الساعة
(فَلَا تَمُوتُ بِهَا) تشكن بها) أى فى قيام الساعة فإن الشك فيها كفر.

(وَاتَّبِعُونِ) بامتثال ما أمرتكم و اجتناب ما نهيتكم

(هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) موصل إلى الله عز وجل 61

(وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) عما أمركم الله به

فإن الشيطان (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) حريص على إغوائكم باذل جهده فى ذلك 62

(وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدق نبوته و صحة ما جاءهم به م——ن:—
إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و نحو ذلك من الآيات.

(قَالَ) لبنى إسرائيل: (قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) النبوة و العلم بما ينبغى على الوجه الذى ينبغى

(وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ) أبين لكم صوابه و جوابه فيزول عنكم بذلك اللبس

فجاء عليه السلام مكملا و متمما لشريعة موسى عليه السلام و لأحكام التوراة

و أتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له و قبول ما جاءهم به.

(فَاقْبَلُوا اللَّهَ) اعبدوا الله وحده لا شريك له و امثلوا أمره و اجتنبوا نهيه و آمنوا بي و صدقوني

(وَأَطِيعُونَ) 63

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)

ففيه الإقرار بـ:—

1-توحيد الربوبية بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة و الباطنة

2-و الإقرار بتوحيد العبودية بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له

و إخبار عيسى عليه السلام أنه عبد من عباد الله ليس كما قال فيه النصارى:— «إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة»

و الإخبار بأن (هَذَا) المذكور

(صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) موصل إلى الله و إلى جنته 64

فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ) المتحزون على التكذيب

(مِنْ بَيْنِهِمْ) كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة

و رد ما جاء به إلا من هدى الله من المؤمنين الذين شهدوا له بالرسالة و صدقوا بكل ما جاء به و قالوا:—
إنه عبد الله و رسوله.

*اِخْتَلَفَتْ الْفَرَقُ وَ صَارُوا شِيَعًا فِيهِ:—

1-مِنْهُمْ مَنْ يَقْرُبُ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ - وَ هُوَ الْحَقُّ-

2-وَ مِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ

3-وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ اللَّهُ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوءًا كَبِيرًا- وَ لِهَذَا قَالَ:—

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ إِلِيمٍ) ما أشد حزن الظالمين و ما أعظم خسارهم في ذلك اليوم 65

(هَلْ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى: ما ينتظر المكذبون و هل يتوقعون

(ليس معناها هل يرون مثال لذلك قول الله: "هل ينظرون الا تأويله" و "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام")

(إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) فجأة

(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يفتنون

أى: فإذا جاءت فلا تسأل عن أحوال من كذب بها و استهزأ بمن جاء بها 66

وإن (**الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ**) أى: يوم القيامة المتخالين على الكفر و التكذيب و معصية الله
(**بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**) لأن خلتهم و محبتهم في الدنيا لغير الله فانقلبت يوم القيامة عداوة.

(**إِلَّا الْمُتَّقِينَ**) للشرك و المعاصي

فإن محبتهم تدوم و تتصل بدوام من كانت المحبة لأجله
*كُلُّ صَدَاقَةٍ وَ صَحَابَةٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ دَائِمٌ بَدَوَامِهِ.
وَ هَذَا كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِقَوْمِهِ:

{ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا

وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ } [الْعنكبوت: 25] **67**

◀ ميزان الصداقة

كانت الصداقات من حولي كثيرة، وكنت حائرة في اختياري بينها، حتى قرأت بعين قلبي قوله تعالى: ﴿ **الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ ^(١) الزخرف: ٦٧. وحينما عشتُ مع الآية بمشاعري وأحاسيسي؛ أذعنت لها جوارحي، وأيقنتُ بقرب الله مني ولطفه بي، وكأنها نزلت الآية لي وحدي دون سواي، وكأنَّ قد عَلِمَ سبحانه حاجتي دون أن أبدي شكواي، وها أنا في ظلها أجد السعادة الحقيقية مع الأخلاء الأوفياء الأتقياء الذين ازددت معهم قرباً من الله وإقبالاً عليه، ووجدت منهم محبة صادقة لا يحكمها إلا الإيثار والحب في الله.

*ثم ذكر ثواب المتقين و أن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم و يذهب عنهم كل آفة و شر فيقول:-

(**يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**) لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور

(**وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**) و لا حزن يصيبكم فيما مضى منها

و إذا انتفى المكروه من كل وجه ثبت المحبوب المطلوب. **68**

(**الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا**) وصفهم الإيمان بآيات الله

و ذلك ليشمل التصديق بها و ما لا يتم التصديق إلا به من العلم بمعناها و العمل بمقتضاها.

(**وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**) لله منقادين له في جميع أحوالهم فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر و الباطن **69**

(**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ**) التي هي دار القرار

(**أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**) نظراؤكم

*أى: من كان على مثل عملكم من كل مقارن لكم من زوجة و ولد و صاحب و غيرهم.

(تُحَبَّرُونَ)

تَنَعَّمُونَ وَتُكْرَمُونَ وَيَأْتِيَكُم مِّنْ فَضْلِ رَبِّكُم مِّنَ الْخَيْرَاتِ وَالسُّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ وَاللَّذَاتِ مَا لَا تُعْبِرُ الْأَلْسُنُ عَنْ وَصْفِهِ 70

(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ) زَبَادِيٍّ آتِيَةِ الطَّعَامِ

(مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) وَهِيَ الْأَكْوَابُ الَّتِي لَا عَمْرَى لَهَا (لَا خَرَاطِيمَ لَهَا)

أى: تدور عليهم خدامهم من الولدان المخلدين بطعامهم بأحسن الأواني و أفخرها و هى صحاف الذهب و شرابهم بالطف الأواني و هى من أصفى الأواني من فضة أعظم من صفاء القوارير.

(وَفِيهَا) أى: الجنة

(مَا قَشْتَهُمْ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ)

و هذا لفظ جامع يأتي على كل نعيم و فرح و قرّة عين و سرور قلب فكل ما اشتتهته النفوس من مطاعم و مشارب و ملابس و مناكح و لذته العيون من مناظر حسنة و أشجار محدقة و نعم مounقة و مبان مزخرفة فإنه حاصل فيها معد لأهلها على أكمل الوجوه و أفضلها كما قال تعالى: (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ)

(وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

و هذا هو تمام نعيم أهل الجنة و هو الخلد الدائم فيها الذي يتضمن دوام نعيمها و زيادته و عدم انقطاعه 71

(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ) الموصوفة بأكمل الصفات هى

(الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

أى: أورثكم الله إياها بأعمالكم و جعلها من فضله جزاء لها و أودع فيها من رحمته ما أودع 72

(لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ) كما في الآية الأخرى: (فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّوْجَانٍ)

(مِنْهَا) مما تتخبرون من تلك الفواكه الشهية و الثمار اللذيذة

(تَأْكُلُونَ) 73

و لما ذكر نعيم الجنة عقبه بذكر عذاب جهنم:-

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ رُبُّكَ قَالَتْ إِنَّكُمْ مَرْكُوثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَمْرُؤَا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ أَنَّنَا خَلَقْنَاهُمْ يُوقِنُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) الذين أجمعوا بكفرهم و تكذيبهم

(فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ) أى: منغمرون فيه محيط بهم العذاب من كل جانب

(خَالِدُونَ) فيه لا يخرجون منه أبدا 75

و(لَا يُفْتَرُ) يخفف(عَنْهُمْ) العذاب ساعة بإزالته و لا بتهوين عذابه

(وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير غير راجين للفرج و ذلك أنهم ينادون ربهم فيقولون:-

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) قَالُوا اخْسُؤْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَا 76

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)

بما قدمت أيديهم و بما ظلموا به أنفسهم و الله لم يظلمهم و لم يعاقبهم بلا ذنب و لا جرم 76

(وَنَادَوْا) و هم فى النار لعلهم يحصل لهم استراحة

(بِمَلَائِكَةٍ) خازن النار

(لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ رُبُّكَ) ليمننا فنستريح فإننا فى غم شديد و عذاب غليظ لا صبر لنا عليه و لا جلد.

*البخارى 3230- عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ:- سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ} [الزخرف: 77] قَالَ: سُفْيَانُ: فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ)

(يا مال) بحذف الكاف منه ترخيما و هى قراءة شاذة تعتبر كحديث من حيث الاحتجاج فى الفقه و اللغة ولكن لا يقرأ بها فى الصلاة و لا يتعبد بتلاوتها. و القراءة المتواترة

*الجامع الصحيح للسنن و المسانيد (طب) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما -
 قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَدْعُونَ مَالِكًا: {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا ثُمَّ يَقُولُ: {إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ}
 ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: {رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون 107]
 قَالَ: فَلَا يُجِيبُهُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا ثُمَّ يَقُولُ: {اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون 108]
 ثُمَّ يَبْأَسُ الْقَوْمُ فَمَا هُوَ إِلَّا الرَّفِيرُ وَ الشَّهِيْقُ تُشْبِهُ أَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتَ الْحَمِيرِ أَوَّلُهَا شَهِيْقٌ وَ آخِرُهَا زَفِيرٌ
 "ف—(قَالَ) لهم مالك خازن النار - حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضى عليهم:-

(إِنَّكُمْ مَكِئُوثُونَ) مقيمون فيها لا تخرجون عنها أبدا

* فلم يحصل لهم ما قصدوه بل أجابهم بنقيض قصدهم و زادهم غما إلى غمهم 77

ثم وبنّحهم بما فعلوا فقال: (لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ) الذى يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه لفزتم و سعدتم

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ) فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها.

* وَ لَكِنْ كَانَتْ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُهُ وَ لَا تُقْبَلُ عَلَيْهِ وَ إِنَّمَا تَنْقَادُ لِلْبَاطِلِ وَ تُعْظَمُهُ وَ تَصِدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ تَأْبَاهُ

وَ تُبْغِضُ أَهْلَهُ فَعُودُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْمَلَامَةِ وَ انْدُمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُكُمْ النَّدَامَةُ 78

يقول تعالى: (أَمْ أَمْرُؤًا) أحكموا-أبرم المكذبون بالحق المعاندون له

(أَمْرًا) كادوا كيدا و مكروا للحق و لمن جاء بالحق ليدحضوه بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق

(أَمْرًا فَإِنَّا مُتَّبِعُونَ) محكمون أمرا و مدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم و ينقضه و يبطله

و هو ما قيضه الله من الأسباب و الأدلة لإحقاق الحق و إبطال الباطل كقوله (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ)

* كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 50]

وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَتَحَيَّلُونَ فِي رَدِّ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ بِحِيلٍ وَ مَكْرٍ يَسْلُكُونَهُ فَكَادَهُمُ اللَّهُ وَ رَدَّ وَ بَالَ ذَلِكَ

عَلَيْهِمْ 79

(أَمْ يَحْسَبُونَ) بجهلهم و ظلمهم

(أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ) الذى لم يتكلموا به بل هو سر فى قلوبهم

(وَيَخُونُهُمْ) كلامهم الخفى الذى يتناجون به

أى: فلذلك أقدموا على المعاصى و ظنوا أنها لا تبعة لها و لا مجازاة على ما خفى منها.

فرد الله عليهم بقوله: (بَلَى) أى إنا نعلم سرهم و نجواهم

(وَرُسُلَنَا) الملائكة الكرام

(لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ)

كل ما عملوه و سيحفظ ذلك عليهم حتى يردوا القيامة فيجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا **80**

(قُلْ) يا محمد أيها الرسول الكريم للذين جعلوا لله ولدا و هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة و لا ولدا و لم يكن له كفوا أحد.

(إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ)

فَلَوْ فَرَضَ كَانَ هَذَا وَ لَكِنْ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَ الشَّرْطُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْوُقُوعُ وَ لَا الْجَوَازُ أَيْضًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزُّمَر: 4]

* لذلك الولد لأنه جزء من والده و أنا أول الخلق انقيادا للأمور المحبوبة لله و لكنى أول المنكرين لذلك و أشدهم له نفيا فعلم بذلك بطلانه فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل و أنه إذا علم أنهم أكمل الخلق و أن كل خير فهم أول الناس سبقا إليه و تكميلا له و كل شر فهم أول الناس تركا له و إنكارا له وبعدا منه فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق لكان محمد بن عبد الله ﷺ أفضل الرسل أول من عبده و لم يسبقه إليه المشركون.

و يحتمل أن معنى الآية-

لو كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله

و من عبادتي لله إثبات ما أثبتته و نفى ما نفاه فهذا من العبادة القولية الاعتقادية و يلزم من هذا لو كان حقا لكنت أول مثبت له فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين و فسادها عقلا و نقلا **81**

(سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)

من الشريك و الظهير و العوين و الولد و غير ذلك مما نسبته إليه المشركون **82**

(فَذَرَهُمْ خَوْضًا) بالباطل - في جهلهم و ضلالهم

(وَلْيَعْبُرُوا) في دنياهم-بالمحال

* فعلومهم ضارة غير نافعة و هي:- الخوض و البحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق و ما جاءت به الرسل و أعمالهم لعب و سفاهة:- لا تركزى النفوس و لا تثمر المعارف.

و لهذا توعددهم بما أمامهم من يوم القيامة فقال:- (حَقٌّ يُلْقَوْنَ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)

فسيعلمون فيه ماذا حصلوا و ما حصلوا عليه من الشقاء الدائم و العذاب المستمر **83**

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ)

أنه وحده المألوه المعبود في السماوات و الأرض فأهل السماوات كلهم و المؤمنون من أهل الأرض يعبدونه

و يعظمونه و يخضعون لجلاله و يفتقرون لكماله.

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) فهو تعالى المألوه المعبود الذي يألهه الخلائق كلهم طائعين مختارين و كارهين

و هذه كقوله تعالى:-(وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ)

أى: ألوهيته و محبته فيهما و أما هو فهو فوق عرشه بائن من خلقه متوحد بجلاله متمجد بكماله

(وَهُوَ الْحَكِيمُ) الذى أحكم ما خلقه و أتقن ما شرعه فما خلق شيئا إلا لحكمة و لا شرع شيئا إلا لحكمة

*و حكمه القدري و الشرعى و الجزائى مشتمل على الحكمة

(الْعَلِيمُ)

بكل شيء يعلم السر و أخفى و لا يعزب عنه مثقال ذرة فى العالم العلوى والسفلى و لا أصغر منها و لا أكبر **84**

(وَتَبَارَكَ) تعظم و كثر خيره و اتسعت صفاته و عظم ملكه

(الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) و لهذا ذكر سعة ملكه للسموات و الأرض

(وَمَا يَبْنِيهِمَا) و سعة علمه و أنه بكل شيء عليم

حتى إنه تعالى انفرد بعلم كثير من الغيوب و التى لم يطلع عليها أحد من الخلق لا نبي مرسل و لا ملك مقرب

و لهذا قال: (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)

قدم الظرف ليفيد الحصر أى: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو و من تمام ملكه و سعته أنه مالك الدنيا و الآخرة

و لهذا قال:-(وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ) أى: فى الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل

و من تمام ملكه أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئا و لا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه **85**

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ)

كل من دعى من دون الله من الأنبياء و الملائكة و غيرهم لا يملكون الشفاعة و لا يشفعون إلا بإذن الله

و لا يشفعون إلا لمن ارتضى

و لهذا قال: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أى: نطق بلسانه مقرا بقلبه عالما بما شهد به

و يشترط أن تكون شهادته بالحق و هو —

1-الشهادة لله تعالى بالوحدانية

2-و لرسله بالنبوة و الرسالة و صحة ما جاءوا به —

أصول الدين و فروعه و حقائقه و شرائعه

فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين و هؤلاء الناجون من عذاب الله الحائزون لثوابه.

(وَهُمْ يَعْلَمُونَ) حقيقة ما أقروا و شهدوا به 86

ثم قال تعالى: (وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ) أى المشركين

(مَنْ خَلَقَهُمْ) عن توحيد الربوبية و من هو الخالق

(لَيَقُولَنَّ اللَّهُ) لأقروا أنه الله وحده لا شريك له.

(فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله و الإخلاص له وحده؟!

فإقرارهم بتوحيد الربوبية يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية و هو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك 87

(وَقِيلِهِ) شَكَا إِلَى رَبِّهِ شَكْوَاهُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ متحزنا على ذلك متحسرا على عدم إيمانهم

فَقَالَ: (يَكْرِبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ)

* كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان: 30]

هذا معطوف على قوله: - (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أى: و عنده علم قيله

* فالله تعالى عالم بهذه الحال قادر على معاجلتهم بالعقوبة و لكنه تعالى حلیم يمهل العباد و يستأنى بهم لعلمهم

يتوبون و يرجعون 88

و لهذا قال: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) أى عن المشركين ما يأتيك من أذيتهم القولية و الفعلية و اعف عنهم

(وَقُلْ سَلَامٌ)

و لا يبدر منك لهم إلا السلام الذى يقابل به أولو الألباب و البصائر الجاهلين كما قال تعالى عن عباده

الصالحين: - (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) أى: - خطابا بمقتضى جهلهم (قَالُوا سَلَامًا)

* لَا تَجَاوِبُهُمْ بِمِثْلِ مَا يُخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنَ اللَّكَلَامِ السَّيِّئِ

وَلَكِنْ تَأَلَّفُهُمْ وَاصْفَحْ عَنْهُمْ فِعْلًا وَ قَوْلًا

* هَذَا تَهْدِيدٌ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمْ وَ لِهَذَا أَحَلَّ بِهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ وَ أَعْلَى دِينَهُ وَ كَلِمَتَهُ وَ شَرَعَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجِهَادَ

وَ الْجِلَادَ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ.

فامتثل ﷺ لأمر ربه و تلقى ما يصدر إليه من قومه و غيرهم من الأذى بالعتو و الصفح و لم يقابلهم عليه إلا

بالإحسان إليهم و الخطاب الجميل.

فصلوات الله و سلامه على من خصه الله بالخلق العظيم الذى فضل به أهل الأرض و السماء و ارتفع به أعلى

من كواكب الجوزاء

(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) غِبَّ ذُنُوبَهُمْ وَ عَاقِبَةُ جَرْمِهِمْ 89

44-سورة الدخان-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

حَمِّ ۝ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ (٣)
 فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ۝ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ
 ۝ (١٠) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ (١٢)
 أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا ۚ عَدُوٌّ لَنَا كَذِبٌ أُولَى
 ۝ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
 إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ۝ (١٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ
 وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ (١٨)

(حَمِّ ۝ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)

نزل القرآن 1-6

هذا قسم بالقرآن على القرآن فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه 2

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أنه أنزله

(فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ) كثيرة الخير و البركة و هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فأنزل أفضل الكلام بأفضل
 الليالي و الأيام على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام

لينذر به قوما:-

1-عمتهم الجهالة

2-و غلبت عليهم الشقاوة

فيستضيئوا بنوره و يقتبسوا من هداه و يسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوى و الخير الأخرى

*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: 1]

و كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: 185]

و لهذا قال:- {إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} مُعَلِّمِينَ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَضُرُّهُمْ شَرْعًا لِيَتَّقُوا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ 3

(فِيهَا) أى: فى تلك اللياق الفاضلة التى نزل فيها القرآن

(يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ) أى: يفصل و يميز و يكتب كل أمر قدرى و شرعى حكم الله به

و هذه الكتابة و الفرقان الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب و تميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق و آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم و أحوالهم
ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجرى على العبد و هو في بطن أمه
ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا و كل به كراما كاتبين يكتبون و يحفظون عليه أعماله
ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة

(حَكِيمٌ) مُّحْكَمٌ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ

و كل هذا من تمام علمه و كمال حكمته و إتقان حفظه واعتناؤه تعالى بخلقه 4

(أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا) جَمِيعَ مَا يَكُونُ وَ يَقْدَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَا يُوحِيهِ قِبَامِرِهِ وَ إِذْنِهِ وَ عِلْمِهِ
*أى: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا.

(إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) للرسل و منزليين للكتب و الرسل تبلغ أوامر المرسل و تخبر بأقداره 31

إن إرسال الرسل و إنزال الكتب التي أفضلها القرآن (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) بالعباد

*فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب و الرسل و كل خير ينالونه في الدنيا و الآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) أى: يسمع جميع الأصوات

(الْعَلِيمُ) و يعلم جميع الأمور الظاهرة و الباطنة و قد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله و كتبه

فرحمهم بذلك و من عليهم فله تعالى الحمد و المنة و الإحسان 6

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى: -خالق ذلك و مدبره و المتصرف فيه بما شاء

بيان قدرة الله 7-8

(إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ) أى: عالمين بذلك علما مفيدا لليقين

فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق و لهذا قال:-

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أى: لا معبود إلا وجهه

(يُحْيِي وَيُمِيتُ) أى: هو المتصرف وحده بالإحياء و الإماتة و سيجمعكم بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرا

فخير و إن شرا فشر

(رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) أى: رب الأولين و الآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم.

* كَوَلِّهِ {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّ وَيُحْيِي فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ} [الأعراف: 158] 8

* فلما قرر تعالى ربوبيته و ألوهيته بما يوجب العلم التام و يدفع الشك أخبر أن الكافرين مع هذا البيان

موقف المشركين من الدعوة و القرآن 16-9

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ)

أى: منغمرون فى الشكوك و الشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل الذى لا يجدى عليهم

إلا الضرر 9

(فَارْتَقِبْ) انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب و آن أوانه

(يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ)

* الصحيح المسند من أسباب النزول:- البخارى 4821 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:-

إِنَّمَا كَانَ هَذَا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعَصَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: 11]

قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ

قَالَ: «لِمُضَرَ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسُقُوا فَتَزَلَّتْ: {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: 15]

فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَّةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَّةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ} [الدخان: 16] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَقَدْ مَضَى خَمْسَةٌ:- الدُّخَانُ وَ الرُّومُ وَ الْقَمَرُ وَ الْبَطْشَةُ وَ الزُّلْزَامُ.

* مسلم (2798) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ

يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: 10] قَالَ:-

يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ فَيَأْخُذُ بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ

فَإِنَّ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ إِنَّمَا كَانَ هَذَا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعَصَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

«دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ»

فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَ جَهْدٌ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ

وَ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا

فَقَالَ:- «لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: 15]

قَالَ: فَمُطِرُوا فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَّةُ قَالَ: عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-

{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: 11]

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ} [الدخان: 16] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ

* مسلم (2901) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ نَتَذَاكُرُ

فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ -

فَذَكَرَ - الدَّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا
وَ نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَيَأْجُوجَ وَ مَاْجُوجَ
وَ ثَلَاثَةَ حُسُوفٍ:-

1- خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ

2- وَ خَسَفَ بِالْمَغْرِبِ

3- وَ خَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ

وَ آخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ
*البخارى 3055 عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَخْبَرَهُ:-

أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ عِنْدَ
أُطَمَ بَنَى مَغَالَةَ وَ قَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ
ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ
فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ»
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَ كَاذِبٌ
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ؟» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:- «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا»
قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخَانُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْسَأُ فَلَنْ تَعْدُوا قَدْرَكَ»
قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»
*قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ
فَقَالَ: مَا مِثُّ اللَّيْلَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ. قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: قَالُوا طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الدَّنْبِ
فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدَّخَانُ قَدْ طَرَقَ فَمَا مِثُّ حَتَّى أَصْبَحْتُ 10

(يَغْشَى) يعم (النَّاسُ) ذلك الدخان و يقال لهم: (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)

و اختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان ف قيل: إنه الدخان الذي يغشى الناس

و يعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة

و أن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة و أمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

و يؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعدهم للكفار

و الثاني بهم و ترهيبهم بذلك اليوم و عذابه و تسلية الرسول و المؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

و يؤيده أيضا أنه قال في هذه الآية:- (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ)

و هذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

و قيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان و استكبروا على الحق فدعا عليهم النبي

ﷺ فقال:- (اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف)

فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات و العظام و صاروا يرون الذى بين السماء و الأرض كهيئة

الدخان و ليس به و ذلك من شدة الجوع **11**

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ)

* هَوْلُهُ: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: 27]

(أَنَّى) كيف يكون (لَهُمُ الدِّكْرَى) التذكر و الاتعاظ بعد نزول العذاب بهم

(وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ) و هو محمد ﷺ

(ثُمَّ تَوَلَّوْا) أعرضوا (عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ) علَّمه بشر أو الكهنة أو الشياطين هو مجنون و ليس برسول؟

* يَقُولُ الْكَافِرُونَ إِذَا عَايَنُوا عَذَابَ اللَّهِ وَ عِقَابَهُ سَائِلِينَ رَفَعَهُ وَ كَشَفَهُ عَنْهُمْ

هَوْلُهُ: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: 27]

وَ كَذًا قَوْلُهُ: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسْلَ أَوْلَمْ

تَكُونُوا أَفْسَنْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم: 44]

وَ هَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: {أَنَّى لَهُمُ الدِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ}

فيكون - على هذا - قوله: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ)

أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم و ما يشاهدون و ليس بدخان حقيقة.

و لم يزلوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ و سألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه

فكشفه الله عنهم **14**

و على هذا فيكون قوله: - {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا} إخبار بأن الله سيصرفه عنكم

(إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) و توعدهم أن يعودوا إلى الاستكبار و التكذيب و إخبار بوقوعه **15**

(يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ)

فوق و أن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى قالوا: و هى وقعة بدر و فى هذا القول نظر ظاهر.

و قيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أسرار الساعة و أنه يكون فى آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس

و يصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان و القول هو الأول و فى الآية احتمال أن المراد بقوله:

(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)

و أن قوله تعالى {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ

أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم

و إذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة و هذا الذي يظهر عندى و يترجح

و الله أعلم

*يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ:-

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَقُولُهُ تَعَالَى: وَلَوْ كَشَفْنَا عَنْكُمْ الْعَذَابَ وَ رَجَعْنَاكُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لَعُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ التَّكْذِيبِ هَوْلِهِ: {وَلَوْ رَجَعْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْا} [الْمُؤْمِنُونَ: 75]

وَ هَوْلِهِ: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الْأَنْعَام: 28]

وَ **الثَّانِي:** -أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: -إِنَّا مُؤَخِّرُو الْعَذَابِ عَنْكُمْ قَلِيلًا بَعْدَ انْعِقَادِ أَسْبَابِهِ وَ وُضُوْلِهِ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَ الضَّلَالِ وَ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْكَشْفِ عَنْهُمْ أَنْ يَكُونَ بَاشَرَهُمْ

هَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [يُونُس: 98]

وَ لَمْ يَكُنِ الْعَذَابُ بَاشَرَهُمْ وَ اتَّصَلَ بِهِمْ بَلٌّ كَانَ قَدْ انْعَقَدَ سَبَبُهُ وَ وُضُوْلُهُ عَلَيْهِمْ وَ لَا يَلْزَمُ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا قَدْ أَقْلَعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شُعَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ قَالُوا:

{لَا تُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ لَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} [الْأَعْرَافِ: 88 89] وَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ عَلَى مِلَّتِهِمْ وَ طَرِيقَتِهِمْ.

❖ **وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (17 - 33)** إلى آخر القصة.

لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمدا ﷺ ذكر أن لهم سلفا من المكذبين

فذكر قصتهم مع موسى و ما أحل الله بهم ليرتدع هؤلاء المكذبون عن ما هم عليه فقال:-

(وَلَقَدْ فَتَنَّا) ابتلينا و اختبر

قصة قوم فرعون 38-17

(قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ)

(وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ)

رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم الذى فيه من الكرم و مكارم الأخلاق ما ليس فى غيره ﴿١٧﴾

قال موسى لفرعون و ملته (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ)

(سَلِّمْ إِلَيَّ يَا فِرْعَوْنُ عِبَادَ اللَّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَيْ يَذْهَبُوا مَعِيَ وَ لَيْسَ مَعْنَاهَا اعْطُونِي عِبَادَ اللَّهِ)

*أرسلوهم و أطلقوهم من عذابكم و سومكم إياهم سوء العذاب فإنهم عشيرتى و أفضل العالمين فى زمانهم.

و أنتم قد ظلمتموهم و استعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم

* هَوْلِهِ: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه: 47] .

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من رب العالمين

(أَمِينٌ) على ما أرسلنى به لا أكتممكم منه شيئا و لا أزيد فيه و لا أنقص و هذا يوجب تمام الانقياد له 18

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ^طإِنِّي أَنَا إِلَهُكُمْ بِسُلْطَانِي مُبِينٍ ^{١٩} وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ^{٢٠}
 وَإِن لَّمْ تَوْمِنُوا لِي فَأَعْرِضُوا ^{٢١} فَدَعَا رَبَّهُ أَن هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ^{٢٢} فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ^{٢٣}
 وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ^{٢٤} كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ^{٢٥} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ^{٢٦}
 وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ^{٢٧} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ^{٢٨} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
 وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ^{٢٩} وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ^{٣٠} مِنْ فِرْعَوْنَ
 إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ^{٣١} وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ^{٣٢} وَأَعَايَنَتْهُمْ مِنَ الْآيَاتِ
 مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ^{٣٣} إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ^{٣٤} إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ^{٣٥}
 فَاتُّوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^{٣٦} أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ هَلَكْتُمْ ^طإِنَّهُمْ كَانُوا مُّجْرِمِينَ ^{٣٧}
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ ^{٣٨} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^{٣٩}

(وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ^ط) بالاستكبار عن عبادته و العلو على عباد الله

(إِنِّي أَنَا إِلَهُكُمْ بِسُلْطَانِي مُبِينٍ) بحجة بينة ظاهرة و هو ما أتى به من المعجزات الباهرات و الأدلة القاهرة
 فكذبوه و همؤوا بقتله فلجأ بالله من شرهم 19 فقال:-

(وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) تقتلونني أشر القتل بالرجم بالحجارة.

(وَإِن لَّمْ تَوْمِنُوا لِي) أى: لكم ثلاث مراتب:-

1- الإيمان بى و هو مقصودى منكم

2- فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة (فَاعْرِضْ لِي) أى لا على و لا لى فاكفونى شركم 20

3- فلم تحصل منهم المرتبة الأولى و لا الثانية

بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى ^{عليه السلام} غير ممكنين له من قومه بنى إسرائيل.

* (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ 88 قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [يُونُس])

(فَدَعَا رَبَّهُ أَن هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ)

أي: قد أجرموا جرماً يوجب تعجيل العقوبة.

فأخبر عليه السلام بحالهم و هذا دعاء بالحال التي هي أبلغ من المقال كما قال عن نفسه عليه السلام

(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) **21**

(فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ)

فأمره الله أن يسرى بعباده ليلاً و أخبره أن فرعون و قومه سيتبعونه

* كما قال: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى} [طه: 77] **22**

(وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) بحاله ليسلكه فرعون و جنوده

و ذلك أنه لما سرى موسى بنى إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار اثني عشر طريقاً و صار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى و قومه.

(إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ)

فلما تكامل قوم موسى خارجين منه و قوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم و تركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا و أورثه الله بنى إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم **24**

و لهذا قال: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين

(وَعُيُونٍ) (الآبار و الأنهار) **25**

(وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) وَ هِيَ الْمَسَاكِينُ الْكَرِيمَةُ الْأَنِيقَةُ وَ الْأَمَاكِينُ الْحَسَنَةُ **26**

(وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ) عيشة كانوا يتفكهون فيها فياًكلون ما شاؤوا

وَ يَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا مَعَ الْأَمْوَالِ وَ الْجَاهَاتِ وَ الْحُكْمِ فِي الْبِلَادِ
فَسَلِبُوا ذَلِكَ جَمِيعُهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ وَ فَارَقُوا الدُّنْيَا وَ صَارُوا إِلَى جَهَنَّمَ وَ بئسَ الْمَصِيرُ
وَ اسْتَوَى عَلَى الْبِلَادِ الْمَصْرِيَّةِ وَ تِلْكَ الْحَوَاصِلُ الْفِرْعَوْنِيَّةِ وَ الْمَمَالِكِ الْقِبْطِيَّةِ بَنُو إِسْرَائِيلَ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشُّعْرَاء: 59]

* وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ:-

{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}

فَهَلْ تَبَكَى السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟

قَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَ لَهُ بَابٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُ وَ فِيهِ يَصْعَدُ عَمَلُهُ
فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ فَأُغْلِقَ بَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ وَ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ بَكَى عَلَيْهِ
وَ إِذَا فُقِدَ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَ يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا بَكَتْ عَلَيْهِ
وَ إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ صَالِحَةٌ

وَ لَمْ يَكُنْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ خَيْرٌ فَلَمْ تَبَكَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ **27**

(كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَهَا^ط) أى هذه النعمة المذكورة

(قَوْمًا آخَرِينَ) و فى الآية الأخرى (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) 28

* لما أتلّفهم الله لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ تَصْعَدُ فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ فلم تعزن عليهم و لم يؤس على فراقهم

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)

فَتَبَّكَ عَلَى فَقْدِهِمْ وَ لَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَقَاعٌ عَبْدُوا اللَّهَ فِيهَا فَقَدَتْهُمْ

فَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَلَّا يُنْظَرُوا وَ لَا يُؤَخَّرُوا لِكُفْرِهِمْ وَ إِجْرَامِهِمْ وَ عُتُوِّهِمْ وَ عِنَادِهِمْ.

* بل كل استبشر بهلاكهم و تلفهم حتى السماء و الأرض لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم

و يوجب عليهم اللعنة و المقت من العالمين

(وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) ممهلين عن العقوبة بل اصطلمتهم فى الحال 29

ثم امتن تعالى على بني إسرائيل فقال:-

(وَلَقَدْ بَعَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) الذى كانوا فيه 30

(مِنْ فِرْعَوْنَ^ع) إذ يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم

(إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا) مستكبرا فى الأرض بغير الحق- جَبَّارًا عَنِيدًا {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} [الْقَصص: 4]

* وَ قَوْلُهُ: {فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَلِيلِينَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 46] وَ قَوْلُهُ {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا سَائِقِينَ} [الْعَنْكَبُوت: 39]

(مِنَ الْمُسْرِفِينَ)

المتجاوزين لحدود الله المتجرئين على محارمه فَكَانَ فِرْعَوْنُ سِرْفًا فِي أَمْرِهِ سَخِيفَ الرَّأْيِ عَلَى نَفْسِهِ 31

(وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ) اصطفييناهم و انتقييناهم

(عَلَى عِلْمٍ) منا بهم و باستحقاقهم لذلك الفضل

(عَلَى الْعَالَمِينَ)

أى عالمى زمانهم و من قبلهم و بعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ ففضلوا العالمين كلهم و جعلهم الله خير أمة

أخرجت للناس و امتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم

* اخْتَبَرُوا عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ ذَلِكَ. و كان يقال: إِنْ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا.

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} [الْأَعْرَاف: 144] أَيْ: أَهْلِ زَمَانِهِ

وَ كَقَوْلِهِ لِمَرْيَمَ: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: 42] أَيْ: فِي زَمَانِهَا فَإِنَّ خَدِيجَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا

وَ كَذَا آسِيَّةُ بِنْتُ مَرْحَمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي الْفَضْلِ وَ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى

سَائِرِ الطَّعَامِ.

*البخارى 3411 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: -إِلَّا آسِيَّةُ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ وَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ
وَ إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ **32**

(وَأَيُّنَهُمْ) أى بنى إسرائيل

(مِنَ الْآيَاتِ) الباهرة و المعجزات الظاهرة

(مَا فِيهِ بَلَكُوتًا مُبِينًا) إحسان كثير ظاهر منا عليهم و حجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبينهم موسى عَلَيْهِ السَّلَام **33**

انكار المشركين للبعث و جزاؤهم 34-50

(إِنَّ هَؤُلَاءِ) المكذبين (لَيَقُولُونَ) مستبعدين للبعث و النشور:- **34**

(إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى) الحياة الدنيا (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) فلا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار **35**

*ثم قالوا - متجرئين على ربهم معجزين له:-

(فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

و هذا من اقتراح الجهلة المعاندين فى مكان سحيق فأى ملازمة بين صدق الرسول ﷺ و أنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟

فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به و تواترت تواترا عظيما من كل وجه **36**

قال تعالى:-

(أَهُمْ خَيْرٌ) أى: هؤلاء المخاطبون

(أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ)

*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَهَدِّدًا لَهُمْ وَ مُتَوَعِّدًا وَ مُنْذِرًا لَهُمْ بِأَسْهُ الَّذِي لَا يَرُدُّ كَمَا حَلَّ بِأَشْبَاهِهِمْ وَ نُظَرَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ

وَ كـ (قَوْمُ تُبَّعٍ) - وَ هُمْ سَبَأٌ - حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَ خَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَ شَرَّدَهُمْ فِي الْبِلَادِ
وَ فَرَّقَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ وَ هِيَ مُصَدَّرَةٌ بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ.
وَ كَذَلِكَ هَاهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأَوْلِيَّكَ وَ قَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانَ كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ
وَ قَدْ كَانَتْ حِمْيَرٌ - وَ هُمْ سَبَأٌ - كُلُّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَّوْهُ **تُبَّعًا**

كَمَا يُقَالُ: **كَسَرَى** لِمَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ

وَ **قَيْصَرُ** لِمَنْ مَلَكَ الرُّومَ

وَ **فِرْعَوْنُ** لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا

وَ **النَّجَاشِيُّ** لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ وَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ.

(وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)

فإنهم ليسوا خيرا منهم و قد اشتركوا فى الإجرام فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين **31**

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) تعالى عن كمال قدرته و تمام حكمته

(وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ) و أنه ما خلق السماوات و الأرض لعبا و لا لهوا أو سدى من غير فائدة **38**

و أنه (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)

أي: نفس خلقهما بالحق و خلقهما مشتمل على الحق

و أنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له و ليأمر العباد و ينهاهم و يشيهم و يعاقبهم.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فلذلك لم يتفكروا فى خلق السماوات و الأرض **39**

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
 كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾
 ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾
 إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
 يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾
 يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾
 وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٨﴾
 فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَرْقَبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٦٠﴾

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) و هو يوم القيامة الذى يفصل الله به بين الأولين و الآخرين و بين كل مختلفين

(مِيقَتُهُمْ) أى: الخلائق

(أَجْمَعِينَ) كلهم سيجمعهم الله فيه و يحضرهم و يحضر أعمالهم و يكون الجزاء عليها 40

(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) و لا ينفع مولى عن مولى شيئاً لا قريب عن قريبه و لا صديق عن صديقه

كَقَوْلِهِ: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101]

وَ كَقَوْلِهِ {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا} [المعارج: 10-11]

أى: لَا يَسْأَلُ أَخًا لَهُ عَنْ حَالِهِ وَ هُوَ يَرَاهُ عِيَانًا 41

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) أى: يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر شيئاً.

* لَا يَنْصُرُ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ وَ لَا يَأْتِيهِ نَصْرُهُ مِنْ خَارِجٍ 42

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

فإنه هو الذي ينتفع و يرتفع برحمة الله تعالى التى تسبب إليها و سعى لها سعيها فى الدنيا. ثم قال تعالى:-

* لما ذكر يوم القيامة و أنه يفصل بين عباده فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:-

1-فريق فى الجنة

2-و فريق فى السعير و هم: الآثمون بعمل الكفر و المعاصى 43

و أن طعامهم **(إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ)** شر الأشجار و أفضعها تخرج في أصل الجحيم

(طَعَامُ الْأَثِيمِ) في قَوْلِهِ وَ فِعْلِهِ وَ هُوَ الْكَافِرُ **44**

و أن طعامها **(كَالْمُهْلِ)** كَعَكْرِ الزَّيْتِ - كالصديد الممتن خبيث الريح و الطعم شديد الحرارة

(يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) في بطونهم **45**

(كَغَلَى الْحَمِيمِ) كغلى الماء الذى بلغ الغاية في الحرارة **46**

(خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءٍ) ووسط **(الْحَمِيمِ)** **47**

(ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) الماء الذى تناهت شدة حرارته فلا يفارقه العذاب.

* **كَهَوْلِهِ {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} 19 يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ {الْحَجَّ}**

* **وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلَكَ يَضْرِبُهُ مِمْقَعَةً مِنْ حَدِيدٍ تَفْتَحُ دِمَاعَهُ ثُمَّ يُصَبُّ الْحَمِيمُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَنْزِلُ فِي بَدَنِهِ**

فَيَسْلِتُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنْ أَمْعَائِهِ حَتَّى تَمْرُقَ مِنْ كَعْبِيهِ - أَعَادَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ 48

* **و يقال للمعذب (قُولُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَ التَّوْبِيخِ):-**

(ذُقْ) هذا العذاب الأليم و العقاب الوخيم

(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) أى: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله

(الْكَرِيمُ) و أنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس **49**

(إِنَّ هَذَا) العذاب العظيم

(مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين.

* **كَهَوْلِهِ {يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا 13 هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} 14 أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ {الطور} 50**

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) موضع إقامة في الآخرة

(أَمِينٍ) آمنين من الآفات و الأحزان و غير ذلك.

* هذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه و عذابه بتركهم المعاصى و فعلهم الطاعات

فلما انتفى السخط عنهم و العذاب ثبت لهم الرضا من الله و الثواب العظيم في ظل ظليل من كثرة الأشجار

و الفواكه و عيون سارحة **51**

(فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم.

*فأضاف الجنات إلى النعيم لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم و سرور كامل من كل وجه ما فيه منغص

و لا مكدر بوجه من الوجوه **52**

(يَلْبَسُونَ) و لباسهم من الحرير الأخضر

(من سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) غليظ الحرير و رقيقه مما تشتهيهِ أنفسهم.

(مُتَقَابِلِينَ) يقابل بعضهم بعضًا بالوجوه و لا ينظر بعضهم في قفا بعض يدور بهم مجلسهم حيث داروا.

*في قلوبهم و وجوههم في كمال الراحة و الطمأنينة و المحبة و العشرة الحسنة و الآداب المستحسنة **53**

(كَذَلِكَ) النعيم التام و السرور الكامل

(وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ)

نساء جميلات من جمالهن و حسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن و ينبهر العقل بجمالهن و ينخلب اللب لجمالهن

(عَيْنٍ) ضخام الأعين حسانها **54**

(يَدْعُونَ فِيهَا) أي الجنة

(بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ) مما له اسم في الدنيا و مما لا يوجد له اسم و لا نظير في الدنيا

*فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة و أجناسها أحضر لهم في الحال من غير تعب و لا كلفة

(ءَامِنِينَ) من انقطاع ذلك و آمين من مضرتة و آمين من كل مكدر و آمين من الخروج منها و الموت **55**

و لهذا قال: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ)

أي: ليس فيها موت بالكلية و لو كان فيها موت يستثنى لم يستثن الموتة الأولى

(إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب

*البخاري 4730 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ ثُمَّ يُنَادِي:-

يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: وَ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ فَيُذْبِحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ

وَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ [مریم: 39])

وَهُؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: 39]

*مسلم (2837) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-
يُنَادِي مُنَاد: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحَوْا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا
وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{وَرُدُّوهُ أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]

(وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٨﴾ فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ)

أي: حصول النعيم و اندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم و كرمه
فإنه تعالى هو الذى وفقهم للأعمال الصالحة التى بها نالوا خير الآخرة و أعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم
(ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) و أى فوز أعظم من نيل رضوان الله و جنته و السلامة من عذابه و سخطه؟ 57
(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أى: القرآن

(بِلِسَانِكَ) أى سهلناه بلسانك الذى هو أفصح الألسنة على الإطلاق و أجلها فتيسر به لفظه و تيسر معناه
(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ما فيه نفعهم فيفعلونه و ما فيه ضررهم فيتركونه 58

(فَارْتَقِبْ) انتظر ما وعدك ربك من الخير و النصر

(إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) ما يحل بهم من العذاب

و فرق بين الارتقاين:-

1-رسول الله و أتباعه يرتقبون الخير فى الدنيا و الآخرة

2-و ضدهم يرتقبون الشر فى الدنيا و الآخرة

فَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ وَ الظَّفَرُ وَ عُلُوُّ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ وَ لِإِخْوَانِكَ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ مَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

كقوله: {كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: 21]

وَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ {غَافِرًا} 59

.....

سورة الجاثية-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

حَمَّ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَأَخْلَلْنَا لَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ
فَلَحَاجًا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩
مَنْ وَرَآيَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠
هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِيَتَجِرَ ٱلْفُلُوكُ
فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

(حَمَّ) 1

الادلة على وحدانية الله 1-6

يخبر تعالى خبرا يتضمن الأمر بتعظيم القرآن و الاعتناء به

و أنه (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ) المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال

و انفرد به من النعم الله (الْعَزِيزِ) الذى له العزة الكاملة (الْحَكِيمِ) الذى له الحكمة التامة.

ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية و النفسية —:—

(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ تفرق في الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) تدب عليها

(ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) 4

(وَأَخْلَلْنَا لَيْلٍ وَالنَّهَارِ) و تعاقبهما عليكم

(وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر

(فَلَحَاجًا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) بعد يُبْسها فاهتزت بالنبات و الزرع

*خلق السماوات والأرض و ما بث فيهما من الدواب و ما أودع فيهما من المنافع

و ما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد و العباد.

فهذه كلها آيات بينات و أدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم و صحة ما اشتمل عليه من الحكم

و الأحكام و دالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال و على البعث و النشور .

(وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ) جَنُوبًا وَ شَمَالًا وَ دَبُورًا وَ صَبًا بَحْرِيَّةً وَ بَرِّيَّةً لَيْلِيَّةً وَ نَهَارِيَّةً
وَ مِنْهَا مَا هُوَ لِلْمَطَرِ وَ مِنْهَا مَا هُوَ لِلْقَاحِ وَ مِنْهَا مَا هُوَ غِذَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ وَ مِنْهَا مَا هُوَ عَقِيمٌ لَا يَنْتِجُ

(ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) 5

وَ قَالَ أَوَّلًا {لَا يَتَّبِعِ الْمُؤْمِنِينَ} ثُمَّ {ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} ثُمَّ {ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}
وَ هُوَ تَرَقَّى مِنْ حَالٍ شَرِيفٍ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَ أَعْلَى. وَ هَذِهِ الْآيَاتُ شَبِيهَةٌ بِآيَةِ "الْبَقَرَةِ" وَ هِيَ قَوْلُهُ:-
{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ} [البقرة: 164]

(تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ) الْقُرْآنَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَ الْبَيِّنَاتِ

(تَتْلُوهَا عَلَيْكَ **إِلَاحِي**) مُتَضَمِّنَةً الْحَقَّ مِنَ الْحَقِّ فَإِذَا كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ لَا يَنْقَادُونَ لَهَا

(فَإِنِّي حَدِيثٌ **بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ**) و أدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له

(يُؤْمِنُونَ) يصدقون و يعملون؟

ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته و عدمه إلى قسمين:—

1-قسم يستدلون بها و يتفكرون بها و ينتفعون فيرتفعون و هم المؤمنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله
و اليوم الآخر إيماننا تاما وصل بهم إلى درجة اليقين

فركى منهم العقول و ازدادت به معارفهم و ألباهم و علومهم 6

2-و قسم يسمع آيات الله سماعا تقوم به الحجة عليه

ثم يعرض عنها و يستكبر كأنه ما سمعها لأنها لم ترك قلبه و لا طهرته بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه.
و أنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال:

(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب في مقاله

(أَشِيرٍ) في فعالة 7

و أخبر أن له عذابا أليما و أن (يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ) تُقْرَأُ (عَلَيْهِ)

(ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا) عَلَى كُفْرِهِ وَ جُحُودِهِ اسْتِكْبَارًا وَ عِنَادًا

(كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا) كأنه ما سمعها

تهديد المكذبين بآيات 11-7

(فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فَأَخْبِرْهُ أَنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا 8

(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) إِذَا حَفِظَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ كَفَرَ بِهِ وَ اتَّخَذَهُ سُخْرِيًّا وَ هُزُوًا

(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَهَانَ بِالْقُرْآنِ وَ اسْتَهْزَأَ بِهِ

*مسلم (1869) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ» 9

(مِنْ وَرَائِهِمْ) (أمامهم)

(جَهَنَّمَ) (تَكْفَى فِي عِقَابِهِمُ الْبَلِيغَةُ).

و أَنَّهُ (وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا) مِنَ الْأَمْوَالِ

(وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) وَ لَا يَغْنِي عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي عَبْدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (يَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ فَخَذَلُوهُمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِمْ لَوْ نَفَعُوا) 10

* فلما بين آياته القرآنية و العيانة و أن الناس فيها على قسمين: -أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالية أنه هدى

فقال: (هَذَا هُدًى) و هذا وصف عام لجميع القرآن

فإنه يهـدى إلى:-

1- معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة و أفعاله الحميدة

2- و يهـدى إلى معرفة رسله و أوليائه و أعدائه و أوصافهم

3- و يهـدى إلى الأعمال الصالحة

4- و يدعو إليها و يبين الأعمال السيئة و ينهى عنها

5- و يهـدى إلى بيان الجزاء على الأعمال

6- و يبين الجزاء الدنيوى و الآخرى فالمهتدون اهتدوا به فأفلحوا و سعدوا

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُ رَيْبِهِمْ) الواضحة القاطعة التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه و تضاعف طغيانه

(لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٍ) عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوجِعٌ مِنْ أَسْوَأِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ 11

* يخبر تعالى بفضلته على عباده و إحسانه إليهم بتسخير البحر لسير المراكب و السفن بأمره و تيسيره

(وَلْيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) (بأنواع التجارات و المكاسب)

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه و أثابكم على شكركم أجرا جزيلا 12

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)

*كقوله: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: 53]

*أى: من فضله و إحسانه

و هذا شامل لأجرام السماوات و الأرض و لما أودع الله فيهما من الشمس و القمر و الكواكب و الثوابت و السيارات و أنواع الحيوانات و أصناف الأشجار و الثمرات و أجناس المعادن و غير ذلك مما هو معد لمصالح بنى آدم و مصالح ما هو من ضروراته

فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم فى شكر نعمته و أن تتغلغل أفكارهم فى تدبر آياته و حكمه

و لهذا قال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

و جملة ذلك أن خلقها و تدبيرها و تسخيرها دال على:-

نفوذ مشيئة الله و كمال قدرته

و ما فيها من الإحكام و الإتقان و بديع الصنعة و حسن الخلقة دال على:-

كمال حكمته و علمه

و ما فيها من السعة و العظمة والكثرة دال على:-

سعة ملكه و سلطانه

و ما فيها من التخصيصات و الأشياء المتضادات دليل على:-

أنه الفعال لما يريد

و ما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل على:-

سعة رحمته و شمول فضله و إحسانه و بديع لطفه و بره

و كل ذلك دال على أنه:-

1-وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة و الذل و المحبة إلا له

2-و أن رسله صادقون فيما جاءوا به فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا و لا شكاً 13

.....

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
 مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَلَعَنَآ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
 الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَنَّتِي مِّنَ الْأَمْرِ
 فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّا بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمَا إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
 إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
 هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ
 كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّثْيَاهُمْ وَمَعَالِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾
 وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق و الصبر على أذية المشركين و أهل الكتاب بالصفح عنهم و
 وَ تَعْمَلِ الْاَدَى مِنْهُمْ وَ هَذَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْاِسْلَامِ وَ لِيَكُونَ ذَلِكَ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ

(لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ) ثوابه و لا يخافون (أَيَّامَ اللَّهِ) أى وقائعه فى العاصين- لا يبالون نِعَمَ اللَّهِ.

(لِيَجْزِيَ قَوْمًا) فإنه تعالى سيجزى كل قوم

(بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم و صفحكم و صبركم ثوابا جزيلًا.

و هم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد و الخزى 14

و لهذا قال:-

(مَن عَمِلَ) من عباد الله (صَالِحًا) بطاعته (فَلِنَفْسِهِ) عمل

(وَمَن أَسَاءَ) عمله فى الدنيا بمعصية الله (فَلَعَنَآ) فعلى نفسه جنى

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)

تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتُعْرَضُونَ بِأَعْمَالِكُمْ عَلَيْهِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرَهَا وَ شَرَّهَا 15

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا) أنعمنا على

(بَقِيَ إِسْرَءِيلُ) نعمًا لم تحصل لغيرهم من الناس و آتيناهم

(الْكِتَابَ) أى: التوراة و الإنجيل

(وَالْحُكْمَ) بين الناس

(وَالنُّبُوَّةَ) التى امتازوا بها و صارت النبوة فى ذرية إبراهيم عليه السلام أكثرهم من بنى إسرائيل

(وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) من المآكل و المشارب و الملابس و إنزال المن و السلوى عليهم

(وَفَضَّلْنَاهُمْ) فى زمانهم (عَلَى الْعَالَمِينَ) أى الخلق بهذه النعم

و يخرج من هذا العموم اللفظى هذه الأمة :-

فإنهم خير أمة أخرجت للناس.

والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة فإن الله يقص علينا ما امتن به على بنى إسرائيل و ميزهم عن غيرهم و أيضا فإن الفضائل التى فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب و الحكم و النبوة و غيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة و زادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة فهذه الشريعة شريعة بنى إسرائيل جزء منها فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب السابقة و محمد ﷺ مصدق لجميع المرسلين **16**

(وَعَايَنَهُمْ) أى: آتينا بنى إسرائيل

(بَيِّنَاتٍ) دلالات تبين الحق من الباطل

(مِّنَ الْأَمْرِ) القدرى الذى أوصله الله إليهم.

و تلك الآيات هى المعجزات التى رآوها على يد موسى عليه السلام

فهذه النعم التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل تقتضى الحال أن :-

1- يقوموا بها على أكمل الوجوه

2- و أن يجتمعوا على الحق الذى بينه الله لهم

و لكن انعكس الأمر فـ:-

1- عاملوهما بعكس ما يجب.

2- و افترقوا فيما أمروا بالاجتماع به

و لهذا قال:- (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) أى: الموجب لعدم الاختلاف

(بَغْيًا بَيْنَهُمْ) و إنما حملهم على الاختلاف البغى من بعضهم على بعض و الظلم.

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فيميز المحق من المبطل **17**

نعم الله على بنى إسرائيل 16-22

و الذي حمله على الاختلاف:- الهِمَى أو غِيَرَه.

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) أى: ثم شرعنا لك شريعة كاملة -

1- تَدْعُو إلى كل خير

2- و تنهى عن كل شر من أمرنا الشرعى

(فَاتَّبِعَهَا) فإن في اتباعها السعادة الأبدية و الصلاح و الفلاح

(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم و لا ماشية خلفه

و هم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ أهواه و إرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون.

* في الآية دلالة عظيمة على :-

1- كمال هذا الدين و شرفه

2- و جوب الانقياد لحكمه

3- و عدم الميل إلى أهواء الكفرة و الملحدين 18

(إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أى: لا ينفعونك عند الله فـ: -

1- يَحْصُلُوا لك الخير

2- و يدفعوا عنك الشر [إن اتبعتهم على أهوائهم]

(وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) المتجاوزين حدود الله

(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ) أنصار (بَعْضُ) من المنافقين و اليهود و غيرهم على المؤمنين بالله و أهل طاعته

* و لا تصلح أن توافقهم و تواليهم فإنك و إياهم متباينون و بعضهم ولى لبعض

(وَاللَّهُ وَلِيُّ) ناصر (الْمُتَّقِينَ) ربهم بأداء فرائضه و اجتناب نواهيه.

* يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم و عملهم بطاعته 19

(هَذَا) القرآن الكريم و الذكر الحكيم

(بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس

(وَهُدًى وَرَحْمَةً) فيحصل به الانتفاع للمؤمنين و الهدى و الرحمة.

(لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بحقيقة صحته و أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

فـ: -

1- يهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين و فروعه

2-و يحصل به الخير و السرور و السعادة في الدنيا و الآخرة و هى الرحمة. فـــــــــــــــــ:-

1-تــــــــزكو به نفوسهم

2-و تــــــــزداد به عقولهم

3-و يــــــــزيد به إيمانهم و يقينهم

4-و تــــــــقوم به الحجة على من أصر و عاند20

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) عَمِلُوا وَ كَسَبُوا(السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) نَسَاوِيهِمْ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!

*أى: أم حسب المسيئون المكثرون من الذنوب المقصرون فى حقوق ربهم.

بأن قاموا بحقوق ربهم و اجتنبوا مساخطه و لم يزلوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم؟
أى: أحسبوا أن يكونوا

(سَوَاءٌ تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) فى الدنيا و الآخرة؟

*لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ

كَقَوْلِهِ: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الْحَشْرِ: 20]

(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

ساء ما ظنوا و حسبوا و ساء ما حكموا به أَنَّ نَسَاوَى بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ فِي هَذِهِ الدَّارِ
*فإنه حكمـــــــــــــــــ:-

1-يخالف حكمة أحكم الحاكمين و خير العادلين

2-و يناقض العقول السليمة و الفطر المستقيمة

3-و يضاد ما نزلت به الكتب و أخبرت به الرسل

بل الحكم الواقع القطعى أن :-

1-المؤمنين العاملين الصالحات لهمـــــــــــــــــ:-

النصر و الفلاح و السعادة و الثواب فى العاجل و الآجل كل على قدر إحسانه

2-و أن المسيئين لهمـــــــــــــــــ:- الغضب و الإهانة و العذاب و الشقاء فى الدنيا و الآخرة21

(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة و ليعبد وحده لا شريك له

(وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من خير أو شر

*ثم يجازى بعد ذلك من أمرهم بعبادته و أنعم عليهم بالنعمة الظاهرة و الباطنة هل شكروا الله تعالى و قاموا بالمأمور؟

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) جزاء أعمالهم-أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟ 22

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِي مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ أَتْنِي عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِظِينَ ﴿٣٢﴾

(أَفَرَأَيْتَ) الرجل الضال (مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) فما هويته سلكه سواء كان يرضى الله أو يسخطه.

هل الهوى إله ؟

تحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي لأن المعاصي صادرة عن الهوى و هذا نوع من الشرك قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) سورة الجاثية: 23

(وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية و لا يزكو عليها.

*أضله الله لعلمه انه يستحق ذلك

*أضله الله بعد بلوغ العلم اليه و قيام الحجة عليه

(وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ) فلا يسمع ما ينفعه

(وَقَلْبِهِ) فلا يعي الخير

(وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) تمنعه من نظر الحق

(فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) أى: لا أحد يهديه و قـــد :-

1- ســـد الله عليه أبواب الهداية

2- و فـــح له أبواب الغواية

و ما ظلمه الله و لكن هو الذي ظلم نفسه و تسبب لمنع رحمة الله عليه

(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ما ينفعكم فتسلكونه و ما يضركم فتجتنبونه.

ضلال المشركين و جزاء المؤمنين و الكافرين

بالبعث 35-23

*كقوله (مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الأعراف: 186] **23**

(وَقَالُوا) أى: منكرو البعث

(مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)

إلا مرُّ الليالي و الأيام و طول العمر ما هى إلا عادات و جرى على رسوم الليل و النهار يموت أناس و يحيا أناس و ما مات فليس براجع إلى الله و لا مجازى بعمله.

(وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ) و قولهم هذا صادر عن غير علم

(إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) فأنكروا المعاد و كذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك و لا برهان.

إن هي إلا ظنون و استبعادات خالية عن الحقيقة

*البخارى 4826 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-

يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل و النهار و هو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه:

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)

قال فيسبون الدهر فقال الله تبارك و تعالى "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر

و أنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل و النهار"

*قَالَ الشَّافِعِيُّ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ غَيْرُهُمَا مِنَ الْأُمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷺ:-

لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ:- كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ

قالوا: يَا حَبِيبَةَ الدَّهْرِ. فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَ يُسَبُّونَهُ

وَ إِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ

فَلِهَذَا نَهَى عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ وَ يُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ **24**

و لهذا قال تعالى:- (وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْدِنَا يَدِينَا مَا كَانَتْ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا) الذين قد هلكوا

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما تقولون.

* و هذا جراءة منهم على الله حيث اقترحوا هذا الاقتراح و زعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم

و أنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا و هم كذبة فيما قالوا

و إنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق **25**

قال تعالى: (قُلْ)-أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث:- (اللَّهُ) سبحانه و تعالى

(يُحْيِيكُمْ) في الدنيا ما شاء لكم الحياة

(ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ) فيها

* وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم لعملوا له أعمالا و تهيئوا له.

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَفْخَاكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: 28]

أي: الَّذِي قَدَّرَ عَلَى الْبَدَاءَةِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخَرَى.

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الرؤم: 27]

(ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ) جميعا أحياء (لِلْيَوْمِ الْقِيَمَةِ) أي: إِنَّمَا يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعِيدُكُمْ فِي الدُّنْيَا

(لَا رَبَّ فِيهِ) لا شك فيه حَتَّى تَقُولُوا:- (أَتُورَايَاتُنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

(يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ الْجَنَّةِ) [التغابن: 9] (لَا يَوْمَ أَجَلٌ لَكُمْ) [المزملات] (وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّوٍ) [هود: 104]

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

قدرة الله على إِمَاتَتِهِمْ ثُمَّ بَعْثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أي: فَلِهَذَا يُنْكِرُونَ الْمَعَادَ وَ يَسْتَبْعِدُونَ قِيَامَ الْأَجْسَادِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا 6 وَنَرَاهُ قَرِيبًا) [المعارج]

أي: يَرَوْنَ وَقُوعَهُ بَعِيدًا وَ الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ ذَلِكَ سَهْلًا قَرِيبًا 25

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خَلْقًا وَ مُلْكًا وَ عِبُودِيَّةً

* يخبر تعالى عن سعة ملكه و انفراده بالتصرف و التدبير في جميع الأوقات

و أنه (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) و يجمع الخلائق لموقف القيامة

(يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ)

يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق و كانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقة بالباطل

فبطلت في يوم القيامة اليوم الذي تستبين به الحقائق و اضمحلت عنهم و فاتهم الثواب و حصلوا على أليم

العقاب 27

* ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة و هوله ليحذره العباد و يستعد له العباد فقال:-

(وَنَرَى) أيها الرائي لذلك اليوم

(كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ) على ركبها خوفا و ذعرا و انتظارا لحكم الملك الرحمن.

* الترمذي 2382- عن عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ..... فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضَى بَيْنَهُمْ وَ كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ

رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ.....

(كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) كَقَوْلِهِ: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتَّيِّبِينَ وَالشُّهَدَاءِ) [الرؤم: 69]

* أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله و هل قاموا بها فيحصل لهم الثواب و النجاة؟

أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟

* فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى و أمة عيسى كذلك و أمة محمد كذلك

و هكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذى كلفت به هذا أحد الاحتمالات فى الآية و هو معنى صحيح فى نفسه غير مشكوك فيه

* و يحتمل أن المراد بقوله:- (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) أى: إلى كتاب أعمالها و ما سطر عليها من خير و شر

(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

و أن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه كقوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا)

* كَقَوْلِهِ (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) 13 بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ 14 وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ [الْقِيَامَةُ] .

* و يحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية 28

و يدل على هذا قوله: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ) الذى أنزلنا عليكم يفصل بينكم

(بِالْحَقِّ) الذى هو العدل

* يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَ لَا نَقْصٍ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:- (وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: 49] .

(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فهذا كتاب الأعمال و لهذا فصل ما يفعل الله بالفريقين-

إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُ الْحَفَظَةَ أَنْ تَكْتُبَ أَعْمَالَكُمْ عَلَيْكُمْ 29

فقال: (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

إيماننا صحيحا و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات و مستحبات

(فِيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) التى محلها الجنة و ما فيها من النعيم المقيم و العيش السليم

* البخارى 4850 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ تَحَاجَّتِ (تخاصمت و الله تعالى أعلم بذلك التخاصم) الْجَنَّةُ وَ النَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ:

أُوْثِرْتُ (اختصت) بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبَّرِينَ (جمع متجبر و هو المتعظم بما ليس فيه و الذى لا يكثر بأمره)

وَ قَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ

(الساقطون من أعين الناس و المحتقرون لديهم لضعفهم و قلة منزلتهم) قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ:-

أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي

وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعَذُّ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي (ممن استحق العقوبة و اكتسب أسبابها)

وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا فَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ

فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ فَهَذَا لِكَ تَمْتَلِي وَ يُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَ لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا

وَ أَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا

(ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ) أي: المفاز و النجاة و الربح و الفلاح

(الْمُيِّنُ) الواضح البين الذى إذا حصل للعبد حصل له كل خير و اندفع عنه كل شر 30

(وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله فيقال لهم توبيخا و تقريعا: -

(أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ)

و قد دلتكم على ما فيه صلاحكم و نهتكم عما فيه ضرركم و هى أكبر نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها

(فَأَسْتَكْبَرْتُمْ) و لكن استكبرتم عنها و أعرضتم و كفرتم بها فجئتم أكبر جناية

(وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) و أجرمتم أشد الجرم فالיום تجزون ما كنتم تعملون 31

و يوبخون أيضا بقوله:

(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ) منكرين لذلك: -

(مَا نَذَرِي مَا السَّاعَةُ) لا نعرفها

(إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) و ما نتوقع وقوعها إلا توهما (أى مرجوحا)

(وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ) بمتحققين أن الساعة آتية

فهذه حالهم فى الدنيا و حال البعث الإنكار له و رد قول من جاء به 32